الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب، اللغات و الفنون   قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم الدلالة تحت عنوان

دلالة الأنس في ليالي الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي

مشروع : الدلالة في التراث العربي

رئيسة المشروع: الأستاذة الدكتورة صفية مطهري

من إعداد الطالب: حفيظة سي بوعزة

تحت إشراف: الأستاذة: صفية مطهري

لجنة المناقشة

أ.د. بكري عبد الكريم..رئيسا

أ.د.مطهري صفية..عضوا مشرفا و مقررا

أ.د. ملياني محمد..عضوا مناقشا

د. هني سنية..عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2011/2010

الإهداء

إلى روح أبي طيّب الله ثراه ....
إلى أمي ينبوع الحنان الذي لا يخادع.........
إلى رفقاء العلم و طالبي العلوّ......
إلى كل الأحبة أهدي ثمرة جهدي.

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية فكرية، وظيفتها التبليغ والإيصال والتواصل بين الناطقين بها، وتنقسم باعتبارها وسيلة إلى قسمين رئيسين: جسمية إشارية بصرية، وصوتية سمعية. وتهدف في الحالين ، إلى نقل افكار وعواطف مستعمليها في حركات إشارية او كميات صوتية ، والمنقول يسمى معنى اودلالة.

وقد اختلف الدارسون المختصون في موقع الدلالة عن غيرها من المستويات والمجالات والموضوعات ، فمنهم من اعتبرها مستوى، ومنهم من صنفها ضمن المجالات والموضوعات ، والارجح انها كل ذلك، لان الدلالة موجودة في كل مستوى ومجال وموضوع، ومن هنا، فهي كل شيء في اللغة، بل هي اللغة نفسها؛ واي تعبير خلا من الدلالة كان لغوا وهذيانا.

ومن هذه النظرة، ملت إلى البحث في الدلالة متتبعة اعلامها واعمالهم، وانتميت إلى مشروع الدلالة في التراث العربي للاستاذة الدكتورة صفية مطهري. ومن خلال ما تلقيته من محاضرات واعمال توجيهية وإرشادات علمية من الاساتذة المكونين، وبخاصة رئيسة المشروع، استقر رايي على البحث الدلالي في تراث ابي حيان التوحيدي، وذلك بعد ما اطلعت على كتابه الإمتاع والمؤانسة، الذي الفه في القرن الرابع هجري، هذه الفترة التي تعد من اخصب الفترات التاريخية، لمابلغته الحضارة العربية الإسلامية من رقي علمي وادبي وفني.

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية فكرية، وظيفتها التبليغ والإيصال والتواصل بين الناطقين بها، وتنقسم باعتبارها وسيلة إلى قسمين رئيسين: جسمية إشارية بصرية، وصوتية سمعية. وتهدف في الحالين، إلى نقل افكار وعواطف مستعمليها في حركات إشارية او كميات صوتية، والمنقول يسمى معنى اودلالة.

وقد اختلف الدارسون المختصون في موقع الدلالة عن غيرها من المستويات والمجالات والموضوعات ، فمنهم من اعتبرها مستوى، ومنهم من صنفها ضمن المجالات والموضوعات، والارجح انها كل ذلك، لان الدلالة موجودة في كل مستوى ومجال وموضوع، ومن هنا، فهي كل شيء في اللغة، بل هي اللغة نفسها؛ واي تعبير خلا من الدلالة كان لغوا وهذيانا.

ومن هذه النظرة، ملت إلى البحث في الدلالة متتبعة اعلامها واعمالهم، وانتميت إلى مشروع الدلالة في التراث العربي للاستاذة الدكتورة صفية مطهري. ومن خلال ما تلقيته من محاضرات واعمال توجيهية وإرشادات علمية من الاساتذة المكونين، وبخاصة رئيسة المشروع، استقر رايي على البحث الدلالي في تراث ابي حيان التوحيدي، وذلك بعد ما اطلعت على كتابه الإمتاع والمؤانسة، الذي الفه في القرن الرابع هجري، هذه الفترة التي تعد من اخصب الفترات التاريخية، بلغته الحضارة العربية الإسلامية من رقي علمي وادبي وفني.

وقد كان التوحيدي معلما من معالم هذه الفترة، وعاملا مؤثرا فيهـــا، بما اوتي من معارف متنوعة، وخصال متميزة، لعل اهمها المـــرح، والتفكـــه، وروح الدعابة، ومن ثمة، وصفه بعض الباحثين، بلسان الثقافة العربية في ذلك القرن، غير ان مناهج التدريس العربية، ما زالت تخلو من ذكر التوحيـــدي، وإعطائه حقه، ووضعه في مرتبته ومكانته بين علماء عصره، وتكتفي بتكرار اسماء معروفة معهودة عندنا.

وهذا مما جعلني اعايش كتابه الإمتاع والمؤانسة، لما لقيته فيه من متعة وانس، تجلى ذلك في الدور الحضاري الذي لعبه مفكر تجاوز صيته حـــدود الزمان والمكان، في عصر المجالس الادبية، والندوات الفكرية والعلميـــة. وفي كل الحالات لقد مسّ هذا البحث مبدعا جديرا بالاهتمام، واصاب عملاقـــا في المعرفة، وقد رسا اختياري في البحث، على استخراج مكامن دلالة الانس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي.

وفي بداية الإنجاز سالت نفسي، هل كان التوحيدي مؤنسا لجلســـائه ورفقائه حقا، وهل تحققت المتعة اللغوية الهادفة من خـــلال هـــذه الليـــالي؟ وللإجابة عن هذا الانشغال، اخترت لبحثي العنوان الاتي:

دلالة الأنس في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

ومما يهدف إليه هذا البحث، هو إ حياء التراث العربي، وبعثـــه مـــن جديد من خلال إنجازات رواده، في زمان تخللته مجالس العلم والفقه والادب والفن... ناهيك عن النقاشات المثارة في تلك الحلقات.

كما اسعى في هذا البحث، إلى إبراز مكامن الانس المخبوءة في جمالية المسائل المطروحة خلال ليال، كان جلها يختتم بعبارة تسمى: ملحة ظريفـة حسب الطلب.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مدخل واربعة فصول، مسبوقة بمقدمة، ومشفوعة بخاتمة، جمعت فيها نتائج البحث، ومكتبته، وفهرس موضوعاته.

قدمت في المدخل شرحا لعناصر عنوان البحث، واستفتحته بمفهوم مختصر للدلالة وانواعها، ثم الدلالة في التراث العربي، وابرزت جهود بعض العرب القدامى في مجال الدلالة، تحديدا في الفترة التي سبقت ابا حيان التوحيدي، ومن هؤلاء الاعلام، الجاحظ (ت،225هج) الذي كان يرى ان الدلالة لا تتحقق إلا بتفاعل الانساق اللغوية المختلفة المتمثلة في المرسل، والمتلقي، والمحتوى، والقناة الناقلة؛وهو ما توصل إليه البحث الحديث في علوم الدلالة والاتصال.

ومن بعد هذا، توقفت عند ابن جني (ت،392 هج)، وهو العالم اللغوي الذي اشتهر بظاهرة المقاربات والتقاليب الاشتقاقية المحققة لتقارب الدلالات من خلال تقارب حروف الالفاظ، وتصور الدلالة قسمين لفظية وصناعية.

وفي هذا المدخل، قدمت نبذة عن حياة ابي حيان التوحيدي، وشيوخه، و جلسائه، وجلساته، ومؤلفاته، منها كتاب الإمتاع والمؤانسة، وظروف تأليفه؛ كما تناولت مفهوم الانس والإمتاع.

وفي الفصل الاول الذي جاء عنوانه: ***دلالة الأنس في المفردات،*** **عا□ـت** الصيغ المؤنسة في الحدث والذات، ومعلوم ان الغالب على حديث التوحيدي كان حديث الإفراد، يظهر ذلك من افتتاح لياليه في كتاب الإمتاع والمؤانسة بالمفردات؛ وكانت المتعة والانس مفردتين متلازمتين مترادفتين تســـيران في خطين متوازيين في احاديث التوحيدي المغمورة بروح المرح.

وخصّصت الفصل الثاني لحديث التراكيب، وكان عنوانه: **دلالة الأنس في التراكيب.** وقد انضوى هذا الفصل، على دراسة الجمل من حيـــث هـــي تركيب متالف الاجزاء، في انسجام وانتظام، وقد تطرقت فيه إلى اســـلوب التضاد الوارد في تراكيب ابي حيان، مما اضفى عليها وضوحا؛ لان الاشـــياء تزداد بيانا بالاضداد ودلالتها، وهو ما اطلق عليه المحدثون مصطلح الثنائيات.

وقد وردت في ليالي التوحيدي جمل تبرز شهية الحديث الممتع، خلال لغة التخاطب المباشر التي تجلب صـــاحبها إلى مواصـــلة الجلســـة بالإثـــارة والتشويق، وتوقفت عند خلفيات الانس والإمتاع، ورونق الكلام.

وعقدت الفصل الثالث ل: ***دلالة الأنس في المشتقات.*** وقد احتوى هـــذا الفصل، على مجموعة من التشكيلات والتقليبات، والتنويعات التي تنبعث من مختلف النفوس والخواطر، من حيث هي مفردات متحولة متنوعة، متضـــمنة معان متباينة، قام ابو حيان التوحيدي بتوظيفها في لياليه، لتضفي الانس على الحاضرين كالمصادر بجميع انواعها، و بقيّة المشتقات.

وانتهيت إلى الفصل الرابع و الاخير، وجعلته تحت عـــنـــوان:

دلالة الأنس في السياق حيث تعمّقت في مظاهر الفكاهة التي ميزت ليالي التوحيدي، والاستمتاع بحلقاته، فقد كان الوزير يطالب ابا حيان بذكر الملح والنوادر، والابيات الشعرية المريحة للنفوس، و المؤنسة للقلوب، و الباعثة على الفرح والمرح؛ واحيانا الضحك.

كما يحتوي هذا الفصل على دلالة الفكاهة العربية، وبعض اعلامهـــا، وانواع التهكم والسخرية، ونوادر الموائد، واهل الشراهة، وملـــح الانـــس والتانيس التي اعتاد التوحيدي تقديمها للوزير، تلبية لطلبه في اخر كل جلسة؛ وكان يسميها: ملحة الوداع؛ وختمت بحثي بخاتمة اوردت فيها اهم نتـــائج البحث ووسائل إنجازه.

و في حديث الوسائل التي منها المادية و غير الماديـــة، و مـــن هـــذه الاخيرة ما يسمى بالمناهج، و هي كثيرة متعدّدة متنوعة، اخترت منـــها مـــا يلائم البحث و ينظمه، فعمّمت المنهج الوصفي على البحث كله، لدقتـــه في التحديد و التوضيح و التبيين، و اردفته بالمعياري و التحليلي عند الحاجة إلى الترجيح، و التعليل، و التمييز بين الاراء و الاحكام.

ونهاية النهاية هي الشكر لله الذي الهمني إلى هذا البحث، ووفقـــني في إنجازه؛ والشكر من بعده مرفوع إلى الاستاذة المحترمـــة الفاضـــلة: رئيســـة المشروع المشرفة على هذا البحث؛ اجدد لها الشكر ما حييت: علـى مـا زودتني به من نصائح، وما قدمته إلي من مساعدات، وما غمرتني به من عناية

ورعاية، يعجز لساني عن وصفها؛ لقد كانت لي المرجع القوي، والملاذ الامن عندما تحيط بي شدائد البحث.

كما اسدي شكري خالصا إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث بالمصادر والمراجع، او بالنصح والتوجيه والتشجيع من زملاء واساتذة وإداريين.

ومن بعد هذا كله، اقول هذا جهد متواضع، في حق العلم والعلماء، وقد بذلت ما في وسعي تحت رعاية الاستاذة المشرفة، ليكون هذا البحث في مستواه الاكاديمي، وإن بلغت شيئا من ذلك، فبتوفيق من الله وتوجيه الإشراف، وإن كان غير ذلك فمن نفسي؛ والكمال لله، واساله التوفيق والسداد في قادم الاعمال.

الطالبة: سي بوعزة حفيظة

وهران في 20 اكتوبر 2010م

مدخل

مفاهيم وتعريفات

إن مصطلح الدلالة عند علماء العربية، هو العلم الذي يدرس كل معطيات المعنى، مما له علاقة بالرموز الصوتية الملفوظة والمرسومة، وكذا الإشارات الجسدية وغيرها من رموز المعاني.

وقد تبلور علم الدلالة في صورته الفرنسية إلى (سيمانتيك Sémantique) وأطلقوا عليه في الإنجليزية عدة أسماء. وسماه بعض العرب: علم الدلالة ـــ بفتح الدال وكسرها ـــ كما سماه آخرون علم المعنى (دون استخدام صيغة الجمع)، وجمعه غير هؤلاء وأولئك تحت مفهوم اللغتين الفرنسية والإنجليزية وسموه (السيمانتيك)"[1] ومن ثم تعددت أسماء الدلالة وتنوعت باختلاف اللغات وتعددها. وأمكن من ذلك حصر الدلالة في الأنواع الآتية"[2]:

أ ـــ الدلالة اللفظية أو الوضعية: وتسمى أيضا اللغوية أو دلالة المطابقة، وهي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها، كدلالة السماء والأرض والجدار على مسمياتها.

---

1 – علم الدلالة، أحمد مختارعمر، ص11.مط، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان. ط،1 ،1982م.

2 – الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص،15وما بعدها باختصار.مكتبة الأنجلو المصرية، ط، 1، 2002 م.

ولعلاقة اللفظ بالمعنى ثلاث حالات: (علاقة المطابقة، كعلاقة اسم المثلث بالشكل الذي يحيط به، أوعلاقة التضمن،كدلالة المثلث على الشكل لا على أنه اسم، أوعلاقة استتباع وإلزام كعلاقة اسم السقف بالحائط.

ب ــ دلالة الإشارة:كالتي تستخدم فيها حركات الجسم والإشارات الموضوعة كعلاماتالطرق، والاهتداء بالجبال والنجوم والنيران؛ وكذلك إشارات المرور والبحارة.

ج ــ دلالة الهيئة أو النصبة: وهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير وضع، إشارة عليها كما هي الحال في هيئة الغضب والسرور أو الذعر التي تبدو على الوجه.

د ــ دلالة الصوت: وما يصاحبه من ظواهر، مثل النبر والتنغيم والإيقاع ودرجة الصوت وقوته وصفته، وما يعرف بالسمات شبه اللغوية، وكذلك أصوات الأشياء ودلالتها عليها في الطبيعة والأصوات الاصطناعية، مثل الموسيقى وصفارات الإنذار وأبواق السفن والأجراس.

هـــ دلالة الخط والكتابة، أو دلالة الرسم: ويدخل في ذلك رموز الحروف ورموز الأعداد ودلالة الصورة والأشكال، وتشير رموز الأعداد إلى أشياء ذهنية، واستخدام الفن الحديث الخطوط للدلالة على أبعاد فنية، وتتنوع باختلاف الأذواق والمذاهب ونوع الخط.

و ــ دلالة الفن: وهي التي توحي بها الصور والتماثيل والحركات والأشكال والتمثيل الناطق والصامت، وتفسير ظواهر الطبيعة على نحو يرمز إلى معان تتداعى إلى النفس، كغروب الشمس الذي يرمز في مجال الأدب إلى الضعف والسكينة والشيخوخة، واتخاذ ألوان الورود رموزا للمشاعر والعواطف.

ز ــ الدلالة الثقافية: وهي التي ترتبط بحياة الشعوب والأمم وعاداتها وتفهم هذه الدلالة في إطار فكر الجماعة الذي يحكم بنظام من الحدود والأعراف كالمعاملات الاجتماعية مثل آداب التحية والترحيب.

ويرتبط الدليل بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من فروع المعرفة حتى قال بعضهم: (إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي (السيمانتيك)، أوما إذا كان يجب اعتبار الفلسفة داخل (السيمانتيك) أو (السيمانتيك) داخل الفلسفة)"[1]" وهذا ما يدل على ترابط العلاقة بين الفلسفة وعلم الدلالة.

الدلالة في التراث العربي

يعود البحث الدلالي عند العرب إلى فجر دراساتهم اللغوية، ذلك أن الدرس اللغوي العربي انطلق باحثا عن المعنى والدلالة في المستويات والمباني اللغوية، وأول كتاب لغوي عربي هو كتاب سيبويه وفي مطلعه عقد

1 – علم الدلالة أحمد مختار عمر، ص15–16.

صاحبه بابا سماه (باب اللفظ للمعاني)"[1]" ولفظ المعنى والدلالة مترادفان في التراث العربي. وغلب استعمال لفظ المعنى على الدلالة، فهذا سيبويه يستعمل (المعنى) بدل الدلالة. ويطلق أبو زكريا الفراء ـــ من بعده ـــ لفظ (المعنى) على تفسير القرآن، وقال فيه: (ولفظ معاني القرآن يعني به ما يشكل في القرآن ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، من حيث المعنى واللفظ والتركيب اللغوي والقراءة، وقدكتب في معاني القرآن عدد كبير من العلماء.)"[2]" واستمر لفظ المعنى مصاحبا للفظ الدلالة ومعاقبا له عند القدماء والمحدثين.

و قد ألف إبراهيم أنيس كتابا بعنوان: (دلالة الألفاظ، في حين يؤلف تمام حسن كتابا بعنوان: (العربية معناها ومبناها) وهما عالمان معاصران لبعضهما ولايزال اللفظان متعاقبين مترادفين في العربية.

ونشير إلى أن الدراسات الدلالية العربية نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، وظلت تدور في رحابهازمانا، قبل أن يتعرف علماء العربية على جهود الهنود واليونانيين الذين كان لهم السبق من الناحية التاريخية ولكن لم يكن العرب عالة عليهم في معرفة هذا العلم، إذ تؤكد

---

1 – الكتاب، سيبويه، ج، 1، ص،24 تح عبد السلام محمد هارون، مط، عالم الكتب، بيروت لبنان ط،1 ،1966 م.

2 – معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن عبد الله الفراء. قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين،ج، 1، ص،3 مط،محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط، 1،2002 م.

الشواهد أن القرآن الكريم هو الذي أغرى علماء العربية ببحث معانيه للتعرف على مواطن إعجازه وأحكامه"[1].وسنقف عند جهود بعض مشاهير العرب في دراسات المعنى والدلالة.

وقد اعتمدنا إبراز جهود بعض العرب القدامى في مجال الدلالة ووقفنا عند الفترة التي سبقت أبا حيان، وقد أشرنا إلى ما قاله سيبويه فيها حيث ربط اللفظ بمعناه والمعنى بلفظه.وقسم الكلام على أساس علاقة اللفظ بالمعنى إلى خمسة أقسام وهي: (مستقيم حسن، ومستقيم قبيح، ومستقيم كذب، ومحال، ومحال كذب)"[2]وهذه الصورة هي ما نجدها عند الجاحظ من بعده.

الدلالة عند الجاحظ

قام الجاحظ (ت،255هج) بفتق أبواب البيان وأبان عن المكامن الجمالية في اللغة العربية، وجمع الصور اللفظية وغير اللفظية، التي تحتضن الفكر وتعبر عن الدلالات والمعاني المختلفة، وتناول في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان) مباحث لها ارتباط وثيق بموضوع الدلالة، مبرزا أهمية العلامة في ظهورالدلالة التي تبقى مستترة كامنة بدون توافر وظائف الكلام، المتمثلة في الوسائل التعبيرية اللغوية الممكنة وغير اللغوية، وحصرها

---

1 –علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص17، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط، 1، 2001م

2 – الكتاب سيبويه، ج.1، ص،25 بتصرف.

الجاحظ في ستة أقسام وهي: (اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال والنصبة)"[1]".

ويلاحظ هنا تلاق وتقاطع بين سيبويه والجاحظ.كما أن هناك خلافا (بين النقاد حول الموقف الحقيقي للجاحظ من اللفظ والمعنى وأن ذلك راجع إلى الخلط الملحوظ أحيانا في تعبيره هو نفسه عن هذه المفاهيم)"[2]" والمفاهيم تفوق المصطلحات.

ويفهم من كلام الجاحظ أن اللفظ والمعنى شبيهان بثنائية تقابلية، فالألفاظ على نقيض المعاني متناهية محدودة لأنها مشكلة من أصوات، والصوت محدود معدود، ولذلك كانت المعاني المتوصل إليها مختلفة الأشكال والألفاظ، وقال فيها: (إن حكم المعنى خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة)"[3]" وذلك ــ حسب الباحثين ــ لكونها دلالة كل صامت أو ما كان في حكمه من جماد أو إنسان أو حيوان.

وينتقل من حديث اللفظ إلى حديث النصبة فيقول: (وأما النصبة، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق

---

1 – يراجع البيان والتبيين، ج1، ص82. تح، عبد السلام محمد هارون، مط، الخانجي القاهرة، ط، 1، 1968م.

2 – النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ،من خلال البيان والتبيين، ص،137، محمد الصغير بناني، مط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط، 1983،1م.

3 – نفسه، ص، 82.

السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"[1]" ونجد الجاحظ يشترط لحسن المعنى جمال الصيغة، فالمعاني الشريفة يعبر عنها باللفظ البليغ الذي يخلو من التنافر، وذلك بعدم خروجه على عرف العربية، وألا يكون غريبا وحشيا، لأن جمال الألفاظ يؤثر في النفس، وبه يستطيع المتكلم تحقيق مقاصده وتبليغ معانيه حسب رغبته"[2]" من توظيف الألفاظ.

ويرى الجاحظ أن الدلالة لا تتحقق إلا بتفاعل الأنساق اللغوية المختلفة، وتخص (المرسل والمتلقي والمحتوى والمضمون فضلا عن قناة الإرسال، وأوضح قابلية الشكل والمحتوى إلى التغيير في ظل معطيات الإبلاغ والتواصل، وأقرب تمثيل هو الانزياح الدلالي المعبر عنه بالمجاز)"[3]" ومن بعد الجاحظ في منتصف القرن الثالث، يظهر ابن جني في منتهى القرن الرابع.

هذا عند بعض اللغويين ممن ذكرنا، وذهب غير هؤلاء إلى إقامة الفرق بين المصطلحات الدلالية، وتقسيم الدلالة إلى أربعة أقسام قال فيها: (إن الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها ما يمكن أن يستدل به، قصد فاعله ذلك أو لم يقصد، والثاني العبارة عن الدلالة، والثالث الشبهة،

---

1 – النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ،من خلال البيان والتبيين، ص،86 محمد الصغير بناني.

2 – الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص38.

3 – علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص128.

والرابع الأمارات،)"[1]" وإلى هذا التقسيم ذهب بعض الأصوليين وجعلوا الدلالة أربعة أقسام :(دلالة الاقتضاء، ودلالة التنبيه، ودلالة الإيماء، ودلالة الإشارة)"[2]" وتبقى فروق بين الفروق نقف عنها في مواضعها من هذا البحث.

الدلالة عند ابن جني

حقق العالم اللغوي ابن جني (ت،392هج) الريادة في رصد الظواهر اللغوية وتحليلها بمنطق علمي، وتناول في كتابه (الخصائص) عرض ثلاث علائق متصلة، وهي (العلاقة بين اللفظ والمعنى) ثم (العلاقة بين اللفظ واللفظ)، ثم (العلاقة بين الحروف ببعضها)"[3]".

واشتهر بإبراز ظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ، وهو ما سماه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)"[4]" ـــ وهو هنا يلتقي مع سيبويه في علاقة اللفظ بالمعنى ـــ ويقيم العلاقة بين مواقع الأصوات ومعانيها، من أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليا لتقاربهما فونولوجيا، وتلك خصائص من خصائص اللغة العربية.

---

1 – ينظر الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، ص،59. مط،دار الآفاق الجديدة بيروت. ط، 4، 1980 م.

2 – الإحكام في أصول الأحكام، ج،3. ص،90 باختصار. سيف الدين أبي الطيب بن علي الآمدي.مط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط، 1983،1 م

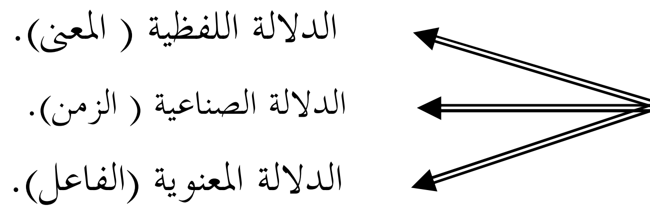
3 – علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 129.عبد الجليل منقور.

4 – نفسه، ص، س.

كما قدم ابن جني تطبيقات مست ألفاظا وجد بين حروفها اشتراكا في الصفات الفونولوجية من ذلك المقابلة بين فعل (ج ع د) والفعل (ش ح ط)، يقول ابن جني: (فالجيم أخت الشين، والعين أخت الحاء، والدال أخت الفاء)"[1].مفردتان من ثلاثة مخارج لمعنيين متقاربين متباينين.

إن الفعل يحمل دلالة بنيته المورفولوجية، وسمات الفاعل ومكوناته الأساسية، إضافة إلى الدلالة الزمانية التي تعين على تحديد قيمة الدلالة العامة للصيغة المعجمية، يقول ابن جني: (ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، دلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه)"[2]. فقد قسم ابن جني الدلالة إلى أقسام: الدلالة اللفظية، والدلالة الصناعية والدلالة المعنوية. ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

الدلالة التفريعية للفعل



1 – علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص128.

2 – الخصائص، ابن جني، ج1، ص98.تح، محمد علي النجار، مط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط، 1، 1952م.

1 ــــ الدلالة اللفظية: هي الدلالة المعجمية ودلالة البنية المورفولوجية على الحدث، وعدها ابن جني على رأس الدلالات الثلاثة لأنها: (دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية) "[1]" ففعل، (جلس) مثلا يدل بصيغته المعجمية على حدث خاص ذي دلالة معينة والمصدر هو (الجلوس)، ومنه اشتقت صيغ أخرى لها ارتباط بالدلالة السياسية للفعل منها: جلسة، مجلس، مجالس.

2 ــــ الدلالة الصناعية: وهي دلالة بنية (اللفظ) المورفولوجية على الزمن وهي تلي الدلالة اللفظية، باعتبارها (اللفظ الذي يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق كحيز زماني، وتحتاج الدلالة الصناعية إلى اللفظ مع أنها دلالة غير لفظية والتي هي صورة تلازم الفعل فأين كان هو مشاهدا معلما كان الزمن المقترب به معلوما بالمشاهدة أيضا من مسموع اللفظ)"[2]".

3 ــــ الدلالة المعنوية وهي : أن الفعل يحدد سمات فاعله الذاتية والانتقائية الأساسية والعرضية، وذلك من جهة دلالته، ويعرف ذلك بطريق الاستدلال، فيتحدد جنس الفاعل، وعدده، وحاله، وليس من الصيغة الفونولوجية للفعل من مؤشرات خارجية عند الفعل، كصيغة فعل في مثل (قعد) الذي يدل على حادث مقترن بزمن ماض، وقد يتعرض مجاله الزمني إلى الاتساع ليشمل زمن الحاضر والمضارع والمستقبل في سياق لغوي يحمل خصائص تركيبية ودلالية

---

1 – علم الدلالة العربي، فايز الداية، ص20

2 – ينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص132

ومقامية معينة أما دلالته على الفاعل فهي دلالة إلزام"[1]".ولسنا هنا بصدد الحديث عن الدلالة عند ابن جني بالشرح والتفصيل، ولذلك اعتمدنا على بعض المسائل التوضيحية لمفاهيم الدلالة عند العالم اللغوي ابن جني، لننتقل منها إلى الحديث عن التوحيدي.

أبو حيان التوحيدي

التوحيدي هو : علي بن محمد بن العباس أبو حيان وقد تضاربت آراء المؤرخين في سيرة أبي حيان حول أصله، فمنهم من يرى أنه فارسي من أصل شيرازي أو نيسابوري أو واسطي، بينما يزعم البعض أنه عربي نشأ في بغداد ووفد بعدئذ على شيراز، و ولد سنة 310 هج من أبوين فقيرين، ويقال إن أباه كان تاجرا متنقلا، يبيع نوعا من التمر المعروف باسم (التوحيد)"[2]"، ويرجع جل المؤرخين أن كنيته (التوحيدي) ترجع إلى والده الذي كان يبيع (التوحيد)"[3]"

وقد تعددت الآراء في أصله ونشأته ومولده، ويرجع عبد الرزاق محي الدين تاريخ ميلاده ما بين 310 هج و 320 هج على أكثر تقديرا على رسالته إلى القاضي أبي سهل، وأما السندوبي فيحدد سنة ميلاده 312 هج في مقدمة المقابسات.

1 – علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، ص،133

2– مصطلح التوحيد المتعارف عليه فقهيا أنه (مصدر اعتقاد وحدانية الله تعالى) وقد بحثت في ما بين يدي من معاجم على أن يكون اسما للتمر فلم أجده.

3 – أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص15.زكريا إبراهيم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة،د.ت.

شخصية أبي حيان

عاش أبو حيان التوحيدي طفولة معذبة في صغره، وليعوض حرمانه التجأ إلى التحصيل العلمي عله يجد فيه تعويضا، وكان شغفه بالمعرفة كبيرا. حيث قال عنه الحوفي: (كان دائم الظمأ إلى مواردها على اختلاف مذاقها)"[1]"،وامتهن حرفة الوراقة فوجد نفسه قريبا من الكتب.

شيوخ أبي حيان

أخذ أبو حيان علومه على مشاهير علماء زمانه،كالنحو والكلام والمنطق، والزهد وفنونا أخرى و من هؤلاء : أبو سعيد السيرافي (284 هج 368 هج)"[2]"، وعلي ابن عيسى الرماني(276 هج 384 هج)"[3]" وأبي سليمان المنطقي(ت،390 هج) وقد عرف أبو سليمان بآراء بديعة سواء في الشعر أم في النثر، وقد أورد له التوحيدي رأيه القيم في النثر والنظم، (بأن في النظم ظل النثر وفي النثر ظل النظم)"[4]".

كما أخذ عن المروروذي، ويحي بن عدي (ت،364 هج) الذي كان يرى (أن النحو واللغة والشعر لا تدخل في العلوم، وأخذ عن أبي سليمان المنطقي (ت بعد 390 هج): الذي يعد من أكبر علماء بغداد في عصر أبي

---

1 – أبو حيان التوحيدي ناقدا كلالي مسعود،ص، 75، رسالة ماجستير1986 جامعة وهران.

2–أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ص،29 (وقد أطلق هذا الوصف على المتنبي وأبي العلاء) فسموا المتنبي شاعر الفلاسفة، والمعري فيلسوف الشعراء..

3 – نفسه، 29

4 – أبو حيان التوحيدي ناقدا، ص، 71.

حيان في المنطق والحكمة والفلسفة، كان مجلسه حافلا بالعلماء والحكماء، واسع الإطلاع في الفلسفة اليونانية وعن هؤلاء جميعا أخذ أبو حيان علمه ومنهم استقى توجهه مما يظهر في آثاره.

آثار أبي حيان

يجمع الباحثون على أن التوحيدي كان غزير الإنتاج، حريصا على النقل أوالرواية، شغوفا بالبحث والجدل، وتنوعت كتبه في الأدب والنحو والكلام والفقه والتصوف والفلسفة واللغة، غير أن حادثة إحراقه لكتبه في أواخر أيام حياته قد حالت دون توفر الكثير من مصنفاته إلينا.

وقد أورد ياقوت الحموي في معجمه أسماء بعض كتب التوحيدي والبالغة 18كتابا، منها: الصداقة والصديق"[1]"،والإمتاع والمؤانسة الذي هو بين أيدينا بالإضافة إلى مثالب الوزيرين والبصائر،"[2]" والذخائر، والمحاضرات والمناظرات"[3]" كما أخذ عن غير هؤلاء ممن يأتي ذكرهم في مواضعهم من هذا البحث.

1- وقد يكون متأثرا فيه بعبد الله بن المقفع.

2 - ظهر هذا العنوان ــ البصائر ــ في جريدة أسبوعية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طبعتيها الأولى والثانية، ثم المعاصرة.

3 - ومما ذكروه له من مؤلفات: النوادر، وكتاب الكلام في الكلام، وكتاب أخبار القدماء وذخائر الحكماء، والهوامل والشوامل، ورسالة الحياة، ورسالة في علم الكتابة، ورسالة الأمانة.

موضوعات كتبه

أول ما نشر من كتب التوحيدي رسالتان: الأولى في الصداقة والصديق، والثانية في العلوم. وفيهما تعرف الناس على إنتاج أبي حيان، وقد جمع في الرسالة الأولى معظم ما كتب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا في مختلف العصور والأجناس كاليونان والفرس والعرب في الجاهلية والإسلام، وحتى العجم أيضا وقد ألف التوحيدي هذا الكتاب في مرحلة متأخرة من حياته،بطلب من ابن سعدان.

أما الكتاب الثاني فهو (المقابسات) ويحتوي على 106 مقابسات أو محاورات بين العلماء؛ وتنوعت موضوعات المقابسات، فمن العلة والمعلوم والمكان والزمان إلى الخالق والمخلوقات في المجال الفلسفي والمواضيع النفسية والأخلاقية و تباين الأخلاق لدى الإنسان وكتمان السر وإفشائه، وحديث النفس، بالإضافة إلى الشعر والنثر وعلاقة النحو بالمنطق"[1]". وهذا ما جعل الباحثين في كتابات التوحيدي يصفون المقابسات بمتحف فكري عجيب.

وأما الكتاب الثالث فهو (الإمتاع والمؤانسة) الذي اضطلع بتحقيقه أحمد أمين، وأحمد زين. وقد ظهر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء صدرت في السنوات 1939 إلى 1944 على التوالي، وهو الكتاب الذي نقوم بدراسته في هذه الرسالة، وهو أقوم كتب التوحيدي، وأمتعها خصوصا وأن الأستاذين المحققين قد عنيا بتصحيح الكتاب ومراجعته.كما ظهرت منه نسخة في

---

1 –أبو حيان التوحيدي، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، زكريا إبراهيم،ص108،109.

الجزائر سنة 1989م بعناية مختار نويوات وقد احتوى هذا الكتاب على سبع وثلاثين ليلة.

وفاة أبي حيان

تضاربت آراء من ترجموا للتوحيدي في تحديد سنة وفاته، فمنهم من جعلها سنة (360،هج) وهذا غير صحيح بدليل أن التوحيدي أحرق كتبه سنة (400 هج) ورسالته إلى القاضي أبي سهل سنة (400 هج)"[1]" ومسودة الصداقة والصديق، وقد أحرق التوحيدي كتبه عام (400 هج) كما ذهب البعض إلى أنه توفي في مطلع القرن الخامس الهجري، إلا أن الظاهر أن الأجل مدّد به إلى العام الرابع عشر من القرن الخامس"[2]" إذ توفي وعمره (104) أعوام؛ و ذكر آدم متز أن التوحيدي توفي سنة 400 هـــ، وهذا أبعد عن التصديق لأن الدلائل الأخرى من التوحيدي، وغيرها ترجح أنه توفي سنة 410 هج"[3]".

وروى فارس بن بكران الشيرازي ــ وكان من أصحاب التوحيدي في الساعات الأخيرة من حياة صاحبه – فقال: (لما احتضر أبو حيان كان بين يديه جماعة فقالوا: اذكر الله، هذا مقام خوف، وكل يسعى لهذه الساعة، وجعلوا يذكرونه ويعظونه، فرفع رأسه إليهم وقال: كأني أقدم

---

1 – أبو حيان التوحيدي ناقدا، كلالي مسعود، (ر.م)، ص54.

2 –مقدمة كتاب (الهوامل والشوامل) للتوحيدي ومسكويه، ص "خ".أحمد أمين و السيد صقر، لجنة التألبف و الترجمة و النشر ط، 1، 1954م.

3 – أبو حيان التوحيدي ناقدا، (ر، م)، ص.54.

على جندي أوشرطي، إنما أقدم على رب غفور وقضى)"1".(أي توفاه الله) وفي هذه العبارة الأخيرة لفتة إلى نفسيته ومزاجه، فحتى وهو على فراش الموت يتحدث بصدق وقوة وأنس لمن سيلاقيه.وهو ما سيكون لنا مفتاحا لمعرفة مكامن الأنس ومعطياته عند أبي حيان لاحقا.

وحول حياة التوحيدي أنتج مسرحيون عراقيون سنة 2007 م، عملا مسرحيا استعراضيا بعنوان (أبو حيان التوحيدي) وتم عرضه في عدة محافل دولية وفي بلدان مختلفة.

تعريف الإمتاع

الإمتاع مفهوم يوحي بالراحة والإفادة، أصله ثلاثي المكونات (متع) ويتعدى بطريقتين التضعيف فيصير (متَّع) بتشديد التاء،كما يتعدى بإضافة الهمزة في أوله وحينها يصير (أمتع) والأول أبلغ في النطق وأمكن في النفس، لأن التضعيف هو(تكرير وتركيز صوتي)

ومن وظائف التضعيف التثبيت والتمكين، وفي أصول المفردة قال ابن فارس: (الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد في خير. منه، استمتعت بالشيء، والمتعة المنفعة)"[1]" ويظهر من كلام ابن فارس أن للمتعة بعدين: أحدهما المنفعة، وثانيهما امتداد زمانها؛ وجاء على

---

1 – أبو حيان التوحيدي، ص34–35 إبراهيم الكيلاني، (يرجح مؤلف هذا الكتاب وفاة أبي حيان عام 414 هجرية استنادا إلى بعض النصوص غير المنشورة عن أخبار الأعلام الذين دفنوا في مدينة شيراز، كما يشير أيضا إلى ما ورد في لسان الميزات).

لسان ابن منظور ما يقترب من هذا في قوله:(يقال أمتع الله فلانا بفلان أي أبقاه ليستمتع به فيما يجب الانتفاع به والسرور بكيانه) وقد تلاقى النصان في المنفعة، وتفرد الأول بامتداد زمانها وتفرد الثاني بنوعيتها وهو السرور.

وفي مجال الدراسات الصرفية جاءت هذه الصيغة أصلية ومزيدة، وجاءت المزيدة بشكلين: الأول بتضعيف العين (متَّع) والثانية بإضافة الهمزة أمتع. وشاعت الصيغة الثانية في القرآن الكريم أكثر من الأولى ولعل أنها جاءت بتضعيف العين، والتضعيف تكرير وتركيز للنطق وتثبيت المعنى.

أما وإن اختار أبو حيان التعدية بالهمزة، فقد ابتغى من ذلك تقوية اللفظ لتقوية معناه، من انطلاقه والتمتع بغنة الميم فيه بالتركيز عليها وبروزها مما يتفق ويوافق التغني والتمتع بالتركيز، (أمْتع) واعتماد الهمزة المثيرة بقوتها المؤثرة على سامعيها تجعل عنوان الجلسات أخاذا مفيدا.

ونشير إلى أن بين المتعة والأنس مواطن تقاطع وافتراق وأن فيهما معا، المتعة والسرور. ويتميز الأنس بإبعاد الوحشة، وبحسب الحالات وإذا كانت تسمية الإنسان من أنسه بصوته ووجوده فقد يفر البعض من وجود الإنسان كالذي جاء في لسان العرب.

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوَّت إنسان فكدت أطير"[2]

---

1 – معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس، ج،5، ص،293، مادة (متع)

2 – محاضرات في علم النفس اللغوي. ص.78.حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت. والبيت غير منسوب لقائله.

وإذا كان في الأنس أنواع وتنويع، بحسب الحالات؛ فإنه يختلف باختلاف حالات المرسل والمتلقي معا. وهنا نقف عند أبي حيان متأملين ومتدبرين سر امتلاكه لسامعيه، ودواعي التلاقي بين أبي حيان مع من يؤنسهم ويستأنس بهم.

تعريف الأنس

ورد في لسان العرب لابن منظور أن الأنس، هو ضد الوحشة. والأنيس: كل ما يؤنس به، وأنست بفلان، وتآنست واستأنست: شعرت بالطمأنينة، ويقال: جارية آنسة أي طيبة الحديث أو طيبة النفس، ويقال: آنس الشيء: أي أحسه"[1]"، وأنس أنيس وأنس: ألفه وسكن قلبه به، ويقال يؤآنس مؤانسة: لاطفه، ألفه وسلاه، والإنس: جمع أناس أي الجماعة الكبيرة"[2]".

وفي معنى جذور الأنس قال ابن فارس: (الهمزة والنون والسين، أصل واحد وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش، قالوا الأنس خلاف الجن...وأنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه)"[3]"

---

1 – ينظر لسان العرب، مادة أنس ج، 6، ص،14و15، باختصار

2 – المنجد في اللغة والإعلام، ص19 .

3– معجم مقاييس اللغة، ج،1، مادة (أنس) ص، 145. تح، عبد السلام محمد هارون، مط، دار الفكر بيروت لبنان، ط، 1، 1989م.

وما ينبغي أن نقف عنده هنا، أننا نطلق كلمة الآنسة على البنت البكر غالبا، دون سواها من بنات جنسها بينما مفهوم الأنس كما هو ظاهر في ما سبق من النصوص، يطلق على كل من قام بمواقف تؤنس غيره وتدخل عليه الطمأنينة والدعة بالدعابة.

ومن هذا المنظور، تكون العجوز الطاعنة في السن، أكثر أنسا من بنات جنسها من العازبات اللواتي لا تدخلن على غيرهن متعة أو سرورا،وبخاصة الصغار المحتاجين إلى حكايات وأحاجي وألغاز تريح النفس وتسر الحضور.

بين المتعة والأنس

رأينا في ما تقدم وقدمناه من النصوص، مفهوم ودلالة ومجال كل من مفردتي الإمتاع والمؤانسة، وتبين أنهما يتفقان معا في إزالة الوحشة والقلق وإحلال الراحة والطمأنينة في النفوس، وقد يختلفان أو يتباعدان في الخلفيات والطريقة، فمن ذلك أن الإمتاع يسعى إلى تحقيق هدفه بالعطاء المتميز من أحد الطرفين، والمتعة منفعة متبادلة،وتعني وجود طرفين يتمتع كل منهما بالآخر.

كما أن المتعة تلتصق بالماديات، كالرؤية البصرية، من ذلك ماديات المجالس التي قيل عنها:كان (المجلس ينعقد في قاعة أوبهو كبير، على جدرانه صور ممثلة بالذهب والفضة ويكسو أرضه بسط واحد، أوعدة أبسطة من الديباج أو نحوه، وفي أطراف البهو مناور من الذهب أو الفضة، توضع

عليها شموع؛ ويسبل على أبواب المجالس ونوافذه ستائر من الحرير أو غيره...)"[1] وفي هذا ما يكفي لجلب المتعة للجالس ولكل مجلس جلساء. وإذا حصلت المتعة والفائدة تحقق الأنس والطمأنينة.

ومن هنا، كان الإمتاع اكتساب غاية؛ والمؤانسة تحقيق راحة، وإن كانت الراحة مشتركة بينهما، على قدر متفاوت. كما أن الأنس ـــ من ميزاته ـــ تحقيق الاطمئنان وقد لايكون في الطمأنينة متعة. ومن هنا نقول: تختلف بواعث البحث وخلفياته ومنطلقاته في كل من المتعة والمؤانسة، وأن الإمتاع غايته المنفعة ودوامها وأن المؤانسة غايتها إزالة الوحشة وتحقيق الطمأنينة. وعند الوقوف على موضوعات كل منهما في هذا البحث يتضح ما ذهبنا إليه.

ظروف تأليف الكتاب

تكاد تجمع البحوث على أنه لم يبق من كتب أبي حيان التوحيدي التي ألفها إلا القليل، ولم يطبع منها إلا المقابسات، والصداقة والصديق، ورسالة في العلوم، وما بقي منها إلا مخطوطات، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها. ويعتبر كتاب (الإمتاع والمؤانسة) من أجود كتب أبي حيان وأنفعها، حسب الكثير من الدارسين لأعمال التوحيدي.

---

1 –ينظر تاريخ التمدن الإسلامي، ج،5، ص،151 جرجي زيدان، وينظر الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، آدم متز، ج،2، ص،215، تر، محمد الهادي أبو ريدة. ط، 1، 1957م.

جلساء أبي حيان وجلساته

لا يخلو تاريخ الملوك والأمراء والوزراء من جلسات علم، وحلقات تعليم، وأحكام ومحاكمات، تتم في جلسات، عناصرها ثلاثة: ــ غالبا ــ وهي: حاكمون متحكمون، وحاشية مفيدون ومستفيدون، وخدم عاملون ومرفهون،كان ذلك في بلاط الأمويين في دمشق، والحمدانيين في حلب، والإخشيديين في مصر. وقد استمرت هذه الجلسات في العصر الحديث كجلسات شوقي في قصر الخديوي، وحلقات العقاد في بيته.

ومن هذه الجلسات والحلقات، ما نحن بصدد دراسته (الإمتاع والمؤانسة) حيث كان أبو حيان يلتقي مع جماعة من خاصية الملك من علماء وأدباء وحكام وحكما؛ في جلسات يظهر فيها جميع من حضر مقدرته في المعرفة والاطلاع بالسؤال أو بالجواب، وكان أكثر المجيبين أبو حيان، وكان المتسائلون غيره، وأكثرهم من ذوي الجاه والسلطان.

وثمة قصة تروي كيفية وصول أبي حيان إلى هذه المكانة وهي أن رجلا يدعى أبا الوفاء المهندس كان صديقا لأبي حيان التوحيدي وللوزير أبي عبد الله العارض"[1]" فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ومدحه عنده، فجعل ذلك الوزير يقرب أبا حيان من مجلسه ومجالسيه، حتى تولى أبو

---

1 – هو أبو عبد الله الحسين، ويسمى أبا سعدان، ومفردة العارض تعني من يعرف العسكر، ويحفظ أرزاقهم، ويوصلها إليهم، ويعرضهم على الحاكم إذا أحتيج إلى ذلك. ولعل أبا عبد الله تولى هذه المهمة قبل توليته الوزارة، فعرف بها وانتسب إليها.

حيان مسامرة الوزير ومن حضر هذه المجالس سبعا وثلاثين ليلة"[1]"كان في هذه الليالي أبو حيان يحادث الحاضرين، وكان الوزير ومن معه يسائلون أبا حيان في مسائل مختلفة بحسب السائلين وموضوعات التساؤل، وكان أبو حيان هو المعني بالإجابة، في جلسات سمر دامت أربعين ليلة، قضاها أبو حيان مع مجموعة من ذوي العلم والمكانة والجاه.

وكل ما يلفت الانتباه ويثير التساؤل هو زمان الجلسات، التي سموها (ليالي) فهل كانت ليالي فعلا، أم كنايات، وإن كانت ليالي، فهل كانت متتابعة أم منفصلة؟ لأن في اتصالها قصرمدة وقلة إفادة، وفي امتدادها وتقاطعها تطور أحوال وتطوير أفكار.

فإن كانت متصلة فهي لاتزيد عن الشهر إلا بثلثه على الكثير، وقد يكون هذا العدد اقتداء وتيمنا بموسى عليه السلام، في قوله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة)"[2]"

وظاهرة التيمن والاقتباس شائعة في تراثنا العربي، ونعود من حديث الجلسة إلى من دار هذا الحديث عليهم وهؤلاء ثلاثة وهم: أبو حيان، ورجل وسيط توسط لأبي حيان هو (أبو الوفاء المهندس) ثم الوزير أبي عبد الله العارض، ومن بعده أبي الوفاء"[3]". ويعد هؤلاء ركائز الجلسات

---

1 – هكذا تحكي القصة، وهذا العدد جاء في (الإمتاع والمؤانسة) تقديم وتعقيب مختار نويوات مط، الرغاية الجزائر، ط،1، 1989م ، وفي المجموعة الكاملة وردت أربعون ليلة.

1– سورة الأعراف، الآية 142.

ومرتكزاها، بهم ومنهم تكون (المؤانسة، والمساعدة، والمفاكهة، والمواتاة)"[1]" وفي مفاهيم هذه المفردات الأربع، يكمن سر المتعة والأنس معا؛ وهو ما نقف عنده في موضعه من هذا البحث.

وصف الكتاب

قال القفطي في وصف الإمتاع والمؤانسة: (وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم، فإنه خاض كل بحر وخاض كل لجة، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو: ابتداء أبوحيان كتابه صوفيا، وتوسطه محدثا، وختمه سائلا ملحفا)"[2]".

وقسم أبو حيان كتابه إلى ليال، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني، وقلت له وأجبته وكان الذي يقترح الموضوع دائما هو الوزير وينتظر الإجابة، وإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكارا و مسائل عند الوزير فيستطرد إليها و يسأله عنها، فقد يسأله سؤالا وأثناء الإجابة يتم ذكر ابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي، فيسأل الوزير أبا حيان عنهم وعن رأيه فيهم، وهكذا

---

3 – هو محمد بن يحي البوزجاني.(348هج376هج) كان من ندماء ابن سعدان، وقال فيه: (فهو والله أبو الوفاء،يعقد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية) وهذه صورة أدبية عما في المؤانسة.

1 – ينظر الإمتاع والمؤانسة،أبو حيان التوحيدي،ج،1، ص،32. مط،دار الكيلاني.

2 – نفسه،ج،1، ص،273.

يستطرد من باب لباب حتى إذا انتهى المجلس يطالبه الوزير بذكر طرفة من الطرائف يسميها (ملحة الوداع)"[1]" التي قد تكون نادرة لطيفة أو شعرا"[2]" ، أو غير ذلك، مما يفتح شهية الوزير أكثر إلى حضور الليلة المقبلة، فيبقى مشتاقا لأنس التوحيدي.

---

1 – الملحة، لعلها مستقاة من مادة الملح(بكسر الميم وتسكين اللام) وجاء في لسان العرب: الملح ما يطيب به الطعام.ج،2، ص،599. وفي معنى الملحة قال: (والملحة الكلمة المليحة) ج،1، ص،602.

2 – الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ص "م" بتصرف.

الفصل الأول
دلالة الأنس في المفردات

الصيغة الإفرادية مفهوم وتنويع

الصيغة مفهوم يوحي بالتآلف والانسجام وحسن التنظيم، ومنه كانت صناعة الذهب، ولا يقال ذلك في صناعة الحداد، فصانع الذهب صائغ وصانع الحديد حداد، ومن هنا يقترب مفهوم الصيغة من الأناقة وحسن المنظر، مما يقربه إلى المتلقي الناظر.

وإذا كان الأمر كذلك فإن للصيغة أشكالا وتشكيلات، تختلف باختلاف عناصر الأجسام المصاغة ومكوناتها.وأقلها في اللغة تشكيل المقطع المصاغ من صائت وصامت، وفوقه المفردة المصاغة من عدة صوامت وصوائت، وتسمى الصيغة الإفرادية، وتنقسم هذه الصيغة وتتنوع بحسب ما تنصرف إليه إلى أربعة أقسام.

تنقسم الصيغة الإفرادية من حيث ما تدل عليه وتنصرف إليه، إلى أربعة أصناف وهي: الحدثية المرتبطة بحدث وزمان مطلق، والذاتية المقترنة بذات مقدرة ومقيسة، والوصفية العائدة على ذات وتسمى المشتقة أيضا. والمزجية المركبة من صيغتين مرتبطتين بمعنى واحد في مثل (بعلبك وبلعباس) وتؤدي كل صيغة من هذه وظيفة هامة منها عملية التنويع والتطوير والإنماء. وسماه اللغويون التوليد، واعتبروا الصيغة

الإفرادية أساسا (للتوليد والتصرف في أشكال شتى)"[1]" أي أن الإنسان يحتاج دوما إلى التعبير عن معان جديدة، والصيغة تعبر بأشكالها المتنوعة عن هذه الدلالات وتتكيف مع جميع حاجات الفرد وتطلعاته.

هذا من حيث التشكيل وأما من حيث المعنى والدلالة فإن لكل صيغة مكامن دلالة تختص بها فالحدثية (تكمن دلالتها في الوسط، مما يعرف بحركة العين وذلك نحو (فعُل) ــ بضم العين ــ فإنها تأتي لأفعال الطبائع، ونحوها في مثل : (حسن وقبح، كبر وصغر ــ بضم العين ــ)، ومن ثم كان لازما، وتختص هذه الصيغة ــ غالبا ــ بالأوصاف الخلقية الثابتة وللطبائع غير المتغيرة، وأما صيغة (فعِل) ــ بكسر ــ فتدل على التغير مثل مرض وحزن، وهي حالات متغيرة، وأيضا على الألوان مثل سوِد، وتتميز كل من (فعُل) و (فعِل) بدلالة تنويعية)"[2]".والرفع خلاف الجر في اللفظ والمعنى.

وإذا نظرنا إلى الصيغة من وجهة نظر صوتية، فإنها تعني (شكل الكلمة المفردة وهيئتها ووزنها)"[3]".وأما دلالة الذوات، فتكمن في حروفها و في صوائت أواخرها، ففي مثل (ضرغام) تدل الصيغة مباشرة على حيوان قوي: بينما تكمن دلالة الصيغ الوصفية في بدايتها ــ غالبا ــ

---

1 – فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، ص128. مط، دار الفكر،ط،7،1981م

2 – شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، ج،1، تح، محمد نور الحسين، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ج01، ص74، مط، دار الفكر العربي، بيوت لبنان، ط، 1، 1975م.

3 – الحروف العربية وتبدلالتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات وامتداد.مكي درار، ص407، رسالة ما جستير جامعة وهران، السانية، 1985م

وذلك في مثل قوله تعالى: (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن)"[1]". فقد جاءت الصيغة بفتح (الحاء): حمل: وسرعان ما تتغير حركة بدايتها في قوله تعالى: (وساء لهم يوم القيامة حِملا)"[2]"فقد حل الكسر محل الفتح في البداية ليوحي بدلالة نوعية، ومن هنا فإن الدلالة في كل صيغة إفرادية مكتسبة تعبيرية، تتغير داخل السياق، وتنتقل من حال إلى حال حسب حاجة الناطق بها. وفي تلوين التشكيل تلوين دلالي، وفي كل تلوين دلالي متعة تعبيرية، مما سيظهر مفصلا في موضعه من هذا البحث.

الإفراد

يختص الأفراد بالدلالة على أسماء الأعلام والذوات في مثل محمد وفاطمة، وعلى الأجناس المختلفة كالإنسان والحيوان، وعلى المدركات لحسية كالنور والظلام، والألوان والطعوم والروائح. وتنحصر دلالة هذه الصيغة في ذوات المفردات.وللمفرد حدود وتعاريف فمن حدوده أنه (لايتم معناه إلا بانضمام شيء آخر إليه)"[3]" وقد جاء تعريفه مختصرا عند الجرجاني في قوله: (والمفرد ما لايدل جزء لفظه على جزء معناه)"[4]"

---

1 – سورة الطلاق، الآية، 06.

2 – سورة طه، الآية 101.

3 – شرح الحدود النحوية، ص،69، جمال الدين الفاكهي، تح،وتق، محمد الطيب إبراهيم، مط، دار النفائس، بيروت ط، 1، 1996م.

4 – كتاب التعريفات، تأليف الشريف الجرجاني، ص،246، مط، دار الندى الأسكندرية، ط، 2004م.

وتوسع أبو البقاء الكفوي في الحديث عن المفرد نقف دونه هنا"[1]" وقد نعود إليه إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وما قادنا إلى الحديث عن المفرد إلا لنعلم الغالب على حديث أبي حيان، وقد كان للمفرد النصيب الأوفر من حديثه. يظهر ذلك من افتتاح لياليه فكان في الأولى (الشيخ، حياتك، مجلس، وزير) وفي الليلة الثانية (كلامه، رضاه، رجاؤه، جاره معاشره.) وكذا في بقية الليالي.

وينتهي بنا تتبع مفهوم الإفراد ووظيفته إلى أنه نوعان: إفراد في اللفظ والمعنى، وذلك كأن تقول لرجل مخاطبا إياه (أنت العاقل المفكر)، وإفراد في المعنى دون اللفظ، كأن تقول لرجل واحد مخاطبا له (أنتم العقلاء المفكرون)، فالمخاطب مفرد، والتعبير مركب تركيبا عدديا معنويا، ولكل تعبير مقام وأحوال.

ونسوق هذا هنا لأن ذلك كان مما اتفق عليه أبوحيان والوزير في قوله (أبدلني الميم بالكاف والتاء)، ويعيد ذكر هذا الموقف في الليلة الثامنة والثلاثين بقوله (كانت هذه الأيام بعد استئذاني إياه في المخاطبة بالكاف حتى يجري الكلام على نسق الاسترسال)"[2]" أي أن نستعمل كاف الخطاب وتاءه فنقول: أنت لك هذا، في موضع أنتم لكم هذا. أي اسمح لي أيها الوزير بالتقرب من هذا المجلس ومن حضره بأسلوب

---

1 – الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية،ج ،4، ص،229 وما بعدها، أبو البقاء الكفوي، إعداد عدنان درويش، ومحمد المصري، مط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ط، 2، 1982م.

2 – الإمتاع والمؤانسة، ج،3، ص،241 الليلة الثامنة والثلاثون.

الخطاب المباشر، بدل الابتعاد عنه بالتعظيم والتفخيم، وهذا جانب من جوانب الأنس إلى الحضور للاستمتاع؛ فمن ميزات الأنس التقرب في المكان بالحضور والجلوس، والتقرب في الحديث بالهمس والنجوى. ولهذه الأساليب دورها ووظيفتها في مجال الحديث ونوعية الأحاديث فيها بساطة واقتراب، وفيها سهولة واندفاع، وفي أسلوب المباشرة حسن المعاشرة.

تنويع الإفراد

الإفراد من حيث الجنس نوعان: مذكر ومؤنث ثم ينقسم كل منهما إلى أقسام، وسبق الحديث عن التذكير (لكون المذكر هو الأصل لم يحتج فيه إلى علامة)"[1]" ومن بعده التأنيث، وهو الخاص بكل ما له علامة، هي نوعان معنوية في مثل : هند وسعاد ولفظية في مثل: فاطمة وليلى ودنيا؛ ويهمنا من هذا ما جاء في ليالي أبي حيان.

يقال من الأنس اشتق اسم (الآنسة) لأنها تؤنس بحديثها، و لم تخل ليالي المتعة والراحة والفرح من وجود أوانس يلقين شعرا، أو يرسلن ألحانا، أو يرددن قصصا، أو يؤدين رقصا؛ ويطلق على الكثير منهن اسم الجواري، ليتميز عنهن الحرائر. ولكن ليالي أبي حيان جاءت على غير المعتاد، يقِلُّ فيها ذكر الأنثى كعنصر فعّال، في جلب المتعة والأنس. وكأن ليالي أبي حيان كانت جلسات عقل وفكر، خلاف غيرها أو كان غيرها يعقد للهو وللعاطفة والخيال، وفي الجميع متعة، ولكنها

---

1 – شذا العرف في فن الصرف، ص،85 أحمد الحملاوي، مط، المكتبة الثقافية بيروت لبنان، ط، 1، 1953م.

تختلف باختلاف الحاضرين وموضوعات المتحدثين؛ وإذا كان لكل مجلس ميزاته وخصائصه فمن ذلك أيضا عدد حاضريه.

الجمع والتركيب

تحدثنا عن المفرد من حيث المفهوم والوظيفة على ما جاء به أبو حيان في ليالي أنسه ومتعته مع جلسائه، والمتوقع ــ وبخاصة في جلسات الأعيان ــ أن يكثر عدد الحاضرين في هذه الليالي ويتنوع، وكنا أشرنا من قبل، إلى أن أباحيان قد اتفق مع الوزير أن يكتسي أسلوب الحديث طابع الإفراد، بدل أسلوب الجمع، لما فيه من تعظيم وتبجيل وعلو مكانة؛ وقد وظف أبو حيان (التاء والكاف في موضع الميم) والجمع من حيث الجنس نوعان أيضا، مذكر ومؤنّث؛ ومن حيث التركيب هو نوعان أيضا، سالم وتكسير؛ وجمع المؤنث السالم ما انتهى (بألف وتاء)"[1] وليس لجمع التكسير قاعدة تطرد.

---

1 – شذا العرف. ص.98، وينظر تفصيله بأكثر من هذا في المغني في علم النحو،ص، 49 لأبي المكارم فخر الدين بن يوسف، تح، قاسم الموشي ، مط، دار صادر بيروت، ط، 1، 2007م. وينظر الكناش في فني النحو والصرف، ج،1، ص،127، للملك المؤيد صاحب حلب، دراسة وتحقيق، رياض بن حسن الخوام، مط المكتبة العصرية، بيروت، ط، 1، 2000م.

ومن الملاحظ أن جمع التكسير يكثر في الذكور ويقل في الإناث"[1]" بينما قلّ الجمعان معا في ليالي أبي حيان،مما يدل على أن هذه الليالي كانت ليالي متعة من نوع خاص وكان يغلب عليها طابع الجد في التفكير والتعبير، و لم تخل من حوادث وأحداث.

الصيغة الحدثية

إن الحدث هو الفعل وهو العمل الذي يحقق به الموجود وجوده، لأن المخلوق خلق ليقوم بأعمال مختلفة ومتعددة، وأولها عبادة الله ـــ سبحانه تعالى ـــ فالعبادة إيمان وعمل، لقوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)"[2]" والفعل هو الشاهد على وجود الإنسان، الذي يميزه عن الجماد، ثم إن لكل فرد أفعالا تحدد مكانته داخل المجتمع إما تخلده، أوتحط من شأنه. وفي ذلك قال تعالى: (وما تفعلوا من خير يعلمْهُ الله)"[3]" مع أن الله يعلم كل عمل كان خيرا أو شرا.

وقد اهتم الباحثون بمسألة الفعل أو الحدث، ولا يزال اهتمامهم متواصلا للوظيفة الأساسية التي يؤديها (الفعل) فهو صورة العمل وهو (عامل قوي بل هو أقوى العوامل، فهو يرفع فاعلا، وينصب مفعولا، كما ينصب سائر ما أسموه بـــ: (الفضلات) كالمفاعيل والحال، ونحو

1 – ذهب مكي درار في محاضرة له ألقاها على طلبة ماجستير، مشروع التراكيب سنة2008م، إلى أن علة جمع التكسير في الإناث راجع إلى قلة ذكرهن في الأحاديث العامة وقلة الذكر هو قلة استعمال، وجمع التكسير يكون لما كثر ذكره واستعماله.

2 – سورة التوبة،الآية، 94 .

3 – سورة البقرة، الآية،197

ذلك، وهو يعمل أينما كان متقدما أم متأخرا، ظاهرا أم مقدرا)"[1]" ويرتبط الفعل بشخصية الإنسان وكيانه وأخلاقه، وأيضا بتركيبته النفسية والاجتماعية، فيسجل المخلوق بصماته خلال الفترة التي يعيشها في مجتمعه ومحيطه.

وإن ابتدأ سيبويه بالحديث عن الاسم وألحقه بالفعل، فذلك على أساس أن الفعل نتاج الاسم، ولو لم يكن الاسم لما كان الفعل؛ وفي ذلك قال: (فأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع)"[2]" أي أن الحدث، إما يكون ماضيا أو حاضرا أو متوقعا.

ومن ثمة أضيف إليه شرط الارتباط بالزمن المطلق، فأصبح دالا على (حدث، وزمن يقترن به)"[3]" ومما أضيف إليه أيضا ارتباطه بالمعنى، ومن ثم أصبح الفعل ثلاثي الأبعاد: حدث، وزمن، ومعنى. وقد لا تدل الصيغة المنفردة على الزمن، إلا إذا اتصلت بقرائن تحدد لها زمان وقوعها. وسيظهر هذا في مسامرات أبي حيان عند العرض والتحليل من هذا البحث.

---

1 – الفعل، زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، ص15، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط، 2، 1980 م.

2 – الكتاب، سيبويه، ج01، ص12.

3 –معجم الشامل في علوم اللغة العربية، ومصطلحاتها، ص651، محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي.

وإذا توقفنا عند ليالي أبي حيان، وجدناه يفتتحها جميعها بأفعال، كقوله في الليلة الأولى: (وصلت أيها الشيخ)"[1]" وفي الثانية: (حضرت ليلة أخرى)"[2]" وفي الليلة الثالثة (قال لي ثم حدثني)"[3]"وهكذا إلى آخر لياليه إذ يفتتح الليلة الثامنة والثلاثين بقوله (قال لي مرة أخرى)"[4]" كما يلاحظ أن معظم أفعال الافتتاح كانت ماضية منصرمة.وأن الحديث عن الماضي يندرج في خانة التاريخ.والفائدة منه توسع آفاق المتلقي ومن المعروف أن حياة الإنسان تمتد في الزمان والمكان بمعرفتين هما معرفة (التاريخ والجغرافية) إذا أن المعرفة بالتاريخ وأحداثه تمدد حياة الإنسان في الزمان، والمعرفة بالجغرافية ومساحاتها تمدد وجود الإنسان في المكان.

الزمن الحدثي

الزمن نوعان: مطلق ومقيد، وفيه قال النحاة (واعلم أن الزمان ينقسم إلى قسمين: الأول المختص، والثاني المبهم، أما المختص فهو ما دل على مقدار معين محدود من الزمن، ـــ مثل السنة والشهر والأسبوع واليوم. وأما المبهم، فهو ما دل على مقدار غير معين، ولامحدود، مثل: اللحظة، والوقت والحين)"[5]" ومن هذا المنظور قسم النحاة ظروف الزمان إلى قسمين مطلق ومقيد ومن هنا ننطلق في التعبير عن الزمان في هذه

---

1 – الإمتاع والمؤانسة ج، 1، ص،43 ط، الجزائر

2 – نفسه، ص،56

3 – نفسه، ص، 71

4 – نفسه، ج،3، ص،218. ط، الجزائر

5 – التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص،237 بتصرف.مط، دار الإمام مالك، طبعة منسوخة.

الدراسة،وفيها يتبين أن للزمن ثلاثة أبعاد، واحد لغوي مطلق والثاني فني والثالث تقعيدي.

الأول هو الحياة بكل ما لها وما فيها، ويرتبط بحركة الأفلاك، وقسمه مستعملوه إلى قرون وسنين وشهور وأيام ثم تقسيمات جزئية بحسب حاجة الناس إليها، وهذه تقسيمات الناس في دنياهم لدنياهم، وهناك وصف للزمن الأخروي خارج عن حركة الأفلاك.وقد عرف اللغويون الزمان بقولهم: (هو عبارة عن امتداد موهوم غير قار الذات متصل الأجزاء)"[1]" وذهب الفلاسفة إلى أن الزمان (لايفهم إلا مع الحركة، إذ الزمان هو شيء يفعله الذهن في الحركة، فالزمان ليس شيئا غير ما يدركه الذهن من هذا الامتداد المقدر للحركة)"[2]" والحركة هي دوران الفلك. ومن هنا يظهر أن للزمن مفهوما واسعا، لأنه هو الوجود والموجود معا.وأن الزمان والإنسان مكملان لبعضهما، فلا يمكن تصور الزمان، إلا من خلال الإنسان، و(أن لا يدرس الإنسان ، إلا انطلاقا من الزمن، لأن الزمان هو سر الكائن الإنساني كله)"[3]"

وقسم الدارسون الزمن إلى أكثر من ثلاثة أقسام منها: الحاضر، والماضي القريب، والماضي البعيد، والمستقبل، والمستقبل القريب والبعيد

1- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي،ج،2، ص،405، ع،2، س،1.

2 – مفهوم الزمن في فلسفة أبي الوليد بن رشد، عبد الرزاق قسوم، ص، 54، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ط،1،وحدة الرغاية.1986م

3 – نفسه، ص10، باختصار وتصرف.

كذلك. وأشهر هذه التقسيمات ثلاثة، ماض، وحاضر، ومستقبل، وإن كان على الحاضر تحفظ من بعض الدارسين القدماء. واختلفوا في الأول منها، حيث قال أبو القاسم الزجاجي: (فأسبق الأفعال في المرتبة، المستقبل، ثم فعل الحال ثم الماضي)"[1]".كما اختلفت المفاهيم في تحديد الزمن، فكان منه المطلق والمقيد والنحوي والصرفي والسياقي، والمرجح هنا هو الحاضر، لأنه واقع، وأما المستقبل، فهو مجرد تصور وتخمين، والماضي مضى: أي انقضى أمره وعهده، ويبقى الحاضر تحقيق للتصور المستقبلي، مع اختلاف فيه عند القدماء."[2]" كما يبقى تقسيم زمن كل صيغة مرهونا بموقف المتكلم والسامعين، وبتوقيت الحديث بحسب التقسيمات الفلكية والعرفية، والمهم في كل هذا هو توظيف الزمان ودلالته في ليالي الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.وقد كان زمان الحدث عند أبي حيان هو الليل، وكانت لياليه منقضية ومن ثم كان طابع أحاديثه قصصا وحكايات، يتجاذب أطرافها الواقع والخيال والكل في الليل.

ليالي العرب

الليل قسيم النهار وضده، وكل من الليل والنهار يتعاقبان، وقد تقدم النهار على الليل في قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار)"[3]"وقد تتبعت لفظة (ليل) في القرآن الكريم فوجدتها تكررت ثلاثا وتسعين

---

1 – الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، ص85 ،تحقيق، مازن المبارك.

2– الإيضاح في علل النحو، ص51،

3 – الآية، 40 من سورة يـــس.

مرة."[1]ــ إن لم أكن مخطئة في ما أحصيت ــ وقد شاع استعمال لفظة ليل في التراث العربي في جميع المجالات، فكان الليل للسهر والسمر والتفكير والتدبير والتخطيط والتآمر، حتى صار الليل وعاء لكل شيء. فقد ولد محمد صلوات الله عليه في ليلة الاثنين، وقبضه إليه في ليلة الاثنين، و أنزل الله القرآن في الليل، وأسرى بمحمد صلوات الله عليه في الليل، ومن ثم كانت ليالي العرب متنوعة بتنوع المطالب، والرغبات والحاجات، فكان السهر للتفكير والتدبير، وكان السمر للراحة والمتعة والأنس، فكانت ليالي العلماء وليالي الفقهاء وليالي الشعراء.

وقد كان الليل ولايزال، ملهم الأدباء والفنانين، وقد اختار الشعراء الليل والخلوة لإبداع الشعر وإنشاده، ويروى أن جرير بن عطية كان إذا أراد صناعة شعر اختار فترة من الليل (وارتمى على السطح وحيدا مضطجعا مغطيا رأسه، وأحيانا يتدحرج حتى يأتيه شيطانه فينطلق لسانه)"[2] ومن هذه الحال وعليها أبدع جرير كثيرا من قصائده.

وما يفهم من هذا النص، أن جريرا كان يكتب قصائده لأنه (كان يوقد سراجه) مع أن المرغوب فيه من أعمال الليل، هو الظلام وانعدام الرؤية البصرية والحواجز الطبيعية، لتحل محلها الرؤية القلبية، وسعة الآفاق الفكرية، والشحنات العاطفية. (ولعل الليل كان أصدق

---

1 – المصحف المرتل الإلكتروني، وينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقين ص، 656. مط، دار الكتب الحديثة، بمصر ط، 1، 1378هج.

2 – العمدة،في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ج،1، ص،81.مط، دار الفكر بيروت لبنان، ط، 1، 1973م.

أصدقاء الشاعر،كان أغلى عليه من كل شيء،.. إنه مهاد مغامراته، ومسرح مؤامراته، وخفاء غاياته، وقد أحبه وترقبه..)"[1]"وكان معظم الساهرين والمسامرين من محبي الشعر ومتذوقيه إن لم يكونوا شعراء كلهم.

ومن هذه النظرة، كانت ليالي المتعة والأنس عند الشاعر الفنان الذي (عاش في هذه الليالي ونما في سوادها ووجد في غفلة العيون وإطفاء المصابيح ونوم السمر الأفق الواسع الذي يستطيع أن يتنفس فيه)"[2]"ومن جو هذه الليالي استقى أبو حيان لياليه فأفرغ فيها مادته وملأها بألوان فنونه.

والشعراء في نظرهم لليل تفاوت واختلاف، ويتفقون في التشكي منه، ففي الوقت الذي يشكو امرؤ القيس من وحشة الليل ويتصوره مخلوقا مفترسا مبتلعا يخاطبه بأن يتنحى ليقبل ضياء الصبح بقوله:

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل)"[3]"

بينما يشكو عمر بن أبي ربيعة من قصر ليله ويتحسر على انقضائه بقوله:

(فيالك من ليل تقاصر طوله وما كان ليلي قبل ذلك يقصر)"[1]"

---

1 – تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من أمرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة. شكري فيصل، ص.513. مط، دار العلم للملايين، بيروت ط،4 ، 1959 م

2 – تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل ، ص،474 باختصار

3 – شرح المعلقات السّبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، ص36، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت، لبنان.

وبين هذا وذاك، تجئ ليالي أبي حيان التي لايشتكى منها قصر ولا طول"[2]"ومرد ذلك في ما يبدو من أن أبا حيان لم يكن حرا في اختيار مواضيع لياليه ولا متحررا من سلطة القصر، ولا من سلطان القهر، نراه في مطلع لياليه يستمع لشروط صاحب المجلس ويتفهمها ويعيدها قائلا: (فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا، ووعيته وعيا تاما؛ وبان"[3]" لي الرشد في جملته وتفصيله، والصلاح في طرفيه ووسطه، والغنيمة في ظاهره وباطنه، والشفقة من أوله إلى آخره)"[4]" ومما كان القي إليه وعليه، هذه الفقرة (ومتى لم تفعل هذا ـــ جملة من الشروط ـــ فانتظر عقبى استيحاشي منك، وتوقع قلة غفولي عنك، وكأني بك وقد أصبحت حران حيران يا أبا حيان، تأكل أصبعك أسفا، وتزدرد ريقك لهفا، على ما فاتك من الحظوة لنفسك، والنظر في يومك لغدك...)"[5]"

ويفهم من هذا المنطلق أن للمجلس شروطا وطقوسا تراعى، وأن هذا المجلس ينضوي تحت مجالس الأبهة واللهو، وإن كنا أوضحنا من قبل أنواع مجالس العظماء، فإن هذا يصنف في مجالس الأدب والشعر ويروى أن الخلفاء والأمراء والوزراء (كانوا يعقدون مجالس الأدب على الغالب

---

1 – ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص، 102، الشركة الوطنية للكتاب، بيروت لبنان،د.ت.

2 – هذه العبارة مستقاة من قول امرئ القيس: (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لايشتكى منها قصر ولا طول)

3 – هي في الكتاب هكذا (بأن) همزة قطع ويظهر أنه خطأ مطبعي فصححناها

4 – الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي ج،1، ص،25، ط، الجزائر.

5 – نفسه،ج،1، ص،28، ط، الجزائر

لترويح النفس من مشاغل الدولة، وتلذذا بالاطلاع على آداب العرب وأخبارهم، فاختص بكل خليفة جماعة ممن عاصروه من أصحاب الأخبار والشرع، يجالسونه في أوقات معينة أو إذا دعاهم في ساعة قلقه أو أرقه. وقد يكون ذلك في أوساط الليل والناس نيام"[1]" وفي هذا النص ما ينطبق على ما سقناه من قبل في وظيفة أبي حيان ومكانته في هذا المجلس.

أما موضوعات المتعة والأنس فيقول فيها(فلا يزال الرجل ينتقل بحديثه من خبر إلى نكتة إلى نادرة إلى شعر، حتى يزول ما في نفس الخليفة وينشرح صدره وقد تفرغ جعبة المحدث مما يعلمه من الأخبار قبل أن ينشرح صدر الخليفة فيضع قصة من عند نفسه يبنيها على نكتة أو حكمة مما يعلم ارتياح الخليفة له)"[2]"وهنا فهمنا عدة قضايا أهمها مواضيع المجلس وهي:النكتة والنادرة والشعر والحكمة. وهي خلفيات المتعة والأنس.

معطيات المتعة والأنس

المتعة والأنس مفردتان مترادفتان تسيران جنبا إلى جنب في أحاديث أبي حيان كلها، بحيث لاتنفصل الواحدة عن الأخرى ولاتنفصم. وما نتساءل عنه هو ما هي بواعث كل منهما وما هي خلفياتهما ومن أين تأتّى لأبي حيان أن يمتلك مسامع الحاضرين ليالي عديدة دخل بها التاريخ؟ حتى وكأنها فاقت أحاديث ألف ليلة وليلة أو قاربتاها.

---

1 – تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ج،5، ص،158.

2 – تاريخ التمدن الإسلامي، ج،5، ص،158.

هنا نقول لكل حديث خصائص وميزات ولكل زمن أهله وما يملكون. وما يمكن الاتفاق عليه في تحقيق المتعة والأنس عنصران هما: الشخصية والثقافة، وكل ما قدمناه دار حول طابع الأداء، وهو ما يندرج تحت مفهوم المستويات اللسانية من أصوات ومفردات وتراكيب وأساليب وما فيها من معان ودلالات وأفكار.يبقى فوق كل هذا جانب هام هو شخصية الرجل.

وإذا رجعنا لما قلناه في مدخل هذا البحث عن صاحب الإمتا ع، وإلى آخر ما قاله من قبل وهو يحتضر، لفتت انتباهنا هذه الفقرة وهي (لما احتضر أبو حيان كان بين يديه جماعة فقالوا له: اذكر الله، فهذا مقام خوف، وكل يسعى لهذه الساعة، وجعلوا يذكّرونه و يعظونه، فرفع رأسه إليهم وقال:كأني أقدم على جندي أو شرطي، إنما أقدم على رب غفور...وقضى)"[1]"أي توفاه الله.

في هذه الفقرة تظهر روح أبي حيان المرحة المتفائلة، وإن ظهرت عليها مسحة من مذهب المرجئة هنا، فإن ذلك لم يظهر عليه من قبل في مجالسه، وأن هذه مسحة الروح الهادئة المطمئنة المؤمنة برحمة الله.

1- أبو حيان التوحيدي، ص، 34، 35 إبراهيم الكيلاني، ويرجع هذا الرجل وفاة أبي حيان إلى سنة، 414 هج.

هذا عامل الشخصية في جلب المتعة واختلاق الأنس، وللشخصية في مجال الفنون أهميتها وفاعلياتها، يضاف إليها مكتسباتها الفنية، وهي هنا تقترب من العشرة، في ما بدا من حديثه في قوله: (فلا يزال الرجل ينتقل بحديثه من خبر إلى نكتة إلى نادرة إلى شعر، وقال في موضع آخر إن حديثه كان يتميز بالمؤانسة الطيبة، والمساعدة المطربة، والمفاكهة اللذيذة، والمواتاة الشهية.

إن مجرد السماع لهذه المفردات، وهذه التراكيب يجد فيها السامع ما يمتع ويؤنس؛ فيها ميل لما يسمع ويلقى، وإذا جمعنا ما سبق من المفردات وجعلناها عناوين لجلسات، كانت ممتعة ومؤانسة بحق؛ لما فيها من اللطف واللذة والشهية؛ وإذا صح أن تكون هذه المفردات عناوين جلسات فإنها تصح أيضا، أن تكون مفاتيح منافذ، يطل منها الجليس على غياهب الماضي وآفاق ماهو آت.

ذكريات الأنس

لقد غلب على ليالي أبي حيان التوحيدي الحديث عما مضى وانقضى، أي الزمن الماضي الذي يدل على (اقتران حدث بزمان قبل زمانك، ويتناسب الماضي مع الحكاية، وذكر ما جرى في المجالس المؤنسة، وكذا الحديث في كل علم وفن، وسرد الوقائع الراسخة في الذاكرة، ولذلك ورد التناسق بين الماضي والحكي، حيث قص أبو حيان قصصا غاصت في كل بحر، وتكررت الأفعال الدالة على الحديث والاسترسال، ومنها: (سأل، حضر، عاد، مر)، وهي أفعال تدل على

الحركة والتغير وتلبية الدعوة، ومنها الفعل (سمع) الدال على التلقي والتقبل والتجاوب وعموم الحضور الذهني بالمتابعة والإصغاء لكل ما يحكى ويروى، و يعني الاصغاء ميل المتلقي على ما يورد له من معاني لغوية، وفي هذا المجال يشعر بطمأنينة النفس وراحة البال.

وفي مجمل ليالي التوحيدي يتكرر الفعل(ضحك) الدال على الفرح والأنس والراحة، وكلما تكرر ذكر فعل(ضحك) ترد بعده عبارة ـــ أضحك الله سنه ـــ وورد في المعاجم إن الفعل (ضحك) يعني انبسط وجهه، بحيث تظهر الأسنان أي؛ افتر عن ضواحكه، واستبان، وقد تكرر على سبيل المثال (ضحك) في الليلة الرابعة 61 مرة.كما يتكرر الفعل (قال) في العديد من الليالي، ويكاد يتكرر في ليلة واحدة 16 مرة، ويدل على كثرة الحوار والحكي والسرد في الرواية، وهو ما يولّد الاستئناس، وفي الليلة الأولى تكرر فعل (قال) 49 مرة، وفي هذا ترجيع وترديد وتثبيت لما سبق.

أما الفعل (تاق) فيدل على الاشتياق والحنين، وإن دل الفعل (حدث) على الإخبار والروي، فإن الفعل (حكى) فهو نقل ووصف للخبر، وقال عنه: (فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس، ولأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة، تُردّد في نفسي على مرّ الزمان، لا أحصيها لك في هذا الوقت، لكنّني أنثرها في المجلس بعد المجلس)"[1]"

---

1 – الإمتاع والمؤانسة، ج1، الليلة الأولى ص19.طبعة بيروت

وحضور التوحيدي يبعث الأنس في مجلس الوزير وفي الوزير نفسه المتشوق إلى معرفة ما سيلقى في لاحق الليالي، والمقصود هنا أن الوزير قد اشتاق إلى حضور أبي حيان ليحدثه ويؤانسه، في مجالس متتابعة وليغوص معه في كل بحر وفن، والمحادثة تحقق الألفة والأنس والمتعة، ويقال: (استمتع بكذا: انتفع وتلذذ زمانا طويلا)"[1]". ومن الأفعال التي تدل على كثرة الخير والحفظ (رزق، قنع، شرب، طعم، أكل).ونجمل الأهم منها في الجدول اللاحق.

جدول الأفعال المؤنسة

الزمن الماضي

الأفعال	*وزنها*	*دلالتها*
ضحك	فعِل	الانبساط والفرح
تاق	فعَل	الحنين والاشتياق
قال	فعَل	السرد والإخبار
حكى	فعَل	النقل والإيصال
منح	فعَل	العطاء والسخاء
مدّ	فعَل	أوصل وأعطى
أوحى	أفعل	الحدس والتبليغ
لطف	فعُل	الرقة والليونة
ستر	فعَل	أخفى وغطى
اشتهى	افتعل	التلذذ بالشيء
رقّ	فعَل	النعومة

1 – المنجد في اللغة والإعلام، ص19.

مع مكونات الجدول

إن أول ما يلاحظه المتتبع لمكونات هذا الجدول إن جل الأفعال التي وردت فيه جاءت في الزمن وجاءت مفتوحة العين وفي ذلك دلالتان: الأولى أن زمن الحديث مطلق ممتد ضارب في القدم وأن هذه الأفعال جاءت كلها مفتوحة العين ومعلوم أن لحركة العين عند اللغويين دلالة تختلف باختلاف موقع اللفظة في الأداء فمن دلالة الفتحة عند الصرفيين أنها علامة(حياد) فاصلة بين الضمة المستعلية الدالة على الثبات والكسرة المستفلة الدالة على التغير)"[1]. ومن دلالتها عند النحويين أنها علامة حياد أيضا، في مقابل الضمة الدالة على الإٌسناد، والكسرة الدالة على الإضافة"[2] وفي الحالين، تكون الفتحة دالة على الحياد والانفتاح، بما في ذلك من سعة وانشراح.

والذي يهمنا من ذلك، هوما يترتب عن ذلك من متعة واتساع أفق، ما يؤول إليه حال المستمع من زوال كروب وانفراج غم، وراحة بال. كما تدل صيغة فعل (بفتح العين) التحرك والتبدل، وتتميز كمياتها بالخفة والرشاقة، وجميع ذلك يجلب المتعة ويخلق الأنس ويبعث في النفس حيوية ونشاطا واختلاق الأنس والانصراف عن الكلل والملل.

1 – شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأسترابادي، ج،1، ص، 250.

2 – في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، ص.7،

إن الأفعال الماضية في كتاب الإمتاع والمؤانسة حركية حيوية خلاقة، تناسب مختلف الأحاديث، والحوار بها متلون متغير غير ثابت، منتقل من خلية إلى أخرى كانتقال النحلة بين الورود والزهور ومن ثمة يمكن أن نصف مجالس أبي حيان ولياليه بمملكة النحل وخلاياه، فيها رحيق الأزهار وحلاوة الأذواق، وشفاء النفوس، فيها أخيرا استئناس واستمتاع.

أحاديث المستقبل

المستقبل يسميه اللغويون مضارعا، (وأصل المضارعة تقابل الخلين على ضرع الشاة عند الرضاع)"[1]" وما يستفاد من هذا أن في المضارع تقابلا وتشابها وتوأمة، ومن هنا فيه إيحاء بما يراد من استحضاره من غير ما هو واقع، وهذا يضارع ذاك، أي يتقاسمه الضرع عند الرضاعة، ويستفاد من هذا في صيغة المضارع وحي بالمشاركة والمواساة وتقاسم المتاعب والأعباء.

وإذا كانت الأعباء والأتعاب يتقاسمها الأحباء متعاونين متعاضدين بما يملكونه من وسائل، فقد استعان أبو حيان في الحديث عن حوادث المستقبل بأدوات تنوعت بتنوع الموقف والحالات، كاقترانه باللام الناهية والجازمة، كقوله: لا تقبله، لا يسلط، لا يستدعي، لا

---

1 – شرح المفصل لابن يعيش،ج،3، ص،227 باختصار

أصل، لا يخطئ، لا يلحن، لا يقبل، لا أتطعم، و لم يطاوع، لم تنبس، لم تنطق؛ ومعظم هذه الصيغ الحدثية وردت في الليلة السادسة. ونجمل أهمها في الجدول الآتي:

جدول الأفعال المستقبلية المؤنسة

الفعل	*الوزن*	*الدلالة*
ينفع	يفعَل	الإفادة النافعة
يعجب	يفعَل	الاندهاش والاستغراب
يشوّق	يفعِّل	الشوق والحنين
يُضحك	يُفعِل	الإضحاك والاسترخاء
تُروّح	تفعِّل	الترويح

مع مكونات الجدول

لقد دلت مجمل الصيغ الوارد ذكرها في ليالي أبي حيان ـــ مما اخترناه ـــ على الإفادة والمنفعة والاندهاش، والشوق والحنين والضحك والاسترخاء والترويح عن النفس.وهذا بعض من كل، وقليل من كثير مما ورد من أفعال الاستقبال عند أبي حيان.وإذا كان في الماضي تذكُّرٌ، ففي المضارع توقُّعٌ؛ وبين ذكريات الماضي وتوقعات المستقبل يقضي الإنسان حياته متذكرا متعظا، ومتوقعا متدبرا.

ونشير هنا إلى أنّ شيوع الماضي وغلبته على ما سواه من الأفعال دليل على أنّ أبا حيان استحضر حوادث من الماضي يتذكرها في الليالي التي جمعته بالوزير، وفي الوقت ذاته حليفه الزمن الذي مضى، وأما المضارع الذي قل عدده وذكره، فهو حاضر صاحب هذه الليالي عدده قلة مآل صاحب الليالي. وبين هذا وذاك واقع حقيقي سماه اللغويون (فعل الأمر).

متعة الأساليب

الأمر في مفهومه العام هو صيغة تكليف وإلزام، وينطوي تحتها صيغتا الطلب والدعاء. ومن حيث التركيب والمكونات هو قسمان أيضا: أمر بالصيغة وأمر باللام، وفي مجال الدراسة اللغوية هو كل فعل (دال على طلب حصول الشيء في المستقبل)"[1]"، سواء كان بالصيغة أم باللام، (والأصل في الأمر أن يكون على سبيل الاستعلاء، أي أن يصدر من أعلى إلى أدنى، وقد يخرج عن ذلك لغرض بلاغي يقتضيه

---

1 –معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 12، محمد سمير نجيب اللبدي.

السياق)"[1]. وخلافه الطلب والدعاء، ولكل مقام مقال، فإن كان الخطاب موجها من أعلى إلى أسفل، كان أمرا، وإن كن موجها من أسفل إلى أعلى، في مستوى بشري، كان طلبا، وإن كان غير بشري كان طلبا أودعاء، أو هما معا.

وقد وظف أبو حيان في لياليه مختلف الصيغ، مراعيا مناسبات الأداء، مما يتناسب مع طبيعة الليالي التي أجاب فيها عما طلبه منه الوزير، أو أمره بالحديث عنه، فقد كان الوزير، هو الذي يختار موضوع الحديث ومجاله وانطلاقه كقوله: (حدثني،هات شيئا من الغزل، صف هذا؛ وذلك) وفي ختام الجلسة يطلب منه أو يأمره قائلا: (هات ملحة المجلس)"[2] والملحة والأملوحة الطيب، جمعها ملح وهويتملح ويتظرف"[3]

إن ما لوحظ في أساليب بعض ليالي الإمتاع والمؤانسة مما قمنا بدراسته أنّ الأمر استعمل لطلب القيام بالفعل على وجه الإلزام، كقول الوزير لأبي حيان (ارو لي، اسقني...) وكقوله أيضا: (أجزم، أفصل،...) وهي أفعال تدل على أنّ المتحدث ينفّذ أوامر المتحدّث إليه، وهو الأعلى منه رتبة ومكانة وهو الوزير، ولكنه كان يراعي آداب الجلسة فكان أسلوبه طلبيا وكان يتلقاه أبو حيان على أنه أمر ملزم.

---

1 ـــ نفسه. ص 12.

2 - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج، 3 ص، 198.

3– الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها، أحمد محمد الحوفي،ص 250، مط، نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، ط،2001

لقد تردّد كثيرا الفعل قل:الذي يدل على الحديث والكلام، والفعل (أجب) و لم يقتصر أسلوب المحادثة على القول المباشر أو الجواب المحدد، وإنما شمل جوانب من الشعر كقول الوزير لأبي حيان: (أنشدني شيئا نختم به المجلس)"[1]" . وكان من أبي حيان أن لبى مطلب الآمر، لأن الآمر هنا أعلى من المأمور، ومن هذا القبيل أيضا قول الوزير (اجمع لي حروفا نظائر لهذا من اللغة واشرح ما يندر منها)"[2]" وقدكان هدف الوزير ـــ فيما يبدو ـــ هو التعلم وحب الاطلاع والتثقيف.ونجمع بعض أفعال الأمر الواردة في ليالي أبي حيان في الجدول الآتي.

دلالة الإمتاع في الأفعال الأمرية

الفعل	*الوزن*	*الدلالة*
صِيف وصف	فَعَل	الوصف
خفِّف خفّف	فَعَّلَ	الترويح
أنثُر نثَر	فَعَلَ	الإكثار من التأنيس
حدِّث حدَّث	فَعَّلَ	المحادثة والحوارية
اروِ رَوَى	فَعَلَ	الحكي والأنس
اسقِ سقى	فَعَلَ	الارتواء
انشُد نَشدَ	فَعَلَ	التغني المؤنس
قُل قال	فَعَلَ	القول والحديث

1 - الإمتاع والمؤانسة، ج،1، ص، 222

2 - نفسه، ج، 2، ص، 03.

مع مكونات الجدول

هذه أفعال أمرية ثمانية، اخترناها كعينات من الصيغ التي وظفها أبو حيان وتدل في مجموعها على التوصيف بالتخفيف على النفس والترويح، والحديث الحواري، والحكاية المؤنسة والارتواء من الظمأ، والإنشاد والتغني، ثم القول النافع الممتع المؤنس الذي يعد كمغلاق لدوائر التواصل في حلقات الجلسة. وفي هذه الحوادث والأحداث، كانت ذوات تحرك الحوار وتتحرك فيه، وكانت الذوات هي المبتغى والغاية من جميع الليالي وجلساتها.

دلالة الذوات في ليالي التوحيدي

الصيغة الذاتية

الذوات هي الموجودات المادية والمعنوية المدركة بالحواس، أو العقل كالإنسان والحيوان والذات، وقد لقي الاسم اهتماما كبيرا من قبل الباحثين اللغويين، واختلف الكوفيون مع البصريين في علاقة الاسم بمسماه فقال الكوفيون هو (مشتق من الوسم، لأن الوسم في اللغة هو العلامة، وذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق من السمو)"[1]" ويظهر من اختلاف آراء المدرستين أن الكوفيين ينهجون منهجا ماديا، في حين ينحو البصريون منحى عقليا، للاسم (علامة مادية عند الكوفيين وعلامة

---

1 – الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين و الكوفيين،ج ، 1، ص ، 6 ، أبو البركات الأنباري، إعداد محمد محي الدين عبد الحميد، مط،المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط،1،د.ت.

عقلية عند البصريين) وهناك تعاريف أخرى نقف دون ذكرها لعدم الحاجة إليها.

ومما اختلف فيه الدارسون، أسبقية الاسم والفعل فذهب فريق إلى (أن الاسم هو الأصل، ويستغني عن الفعل، والفعل فرع عليه، ومفتقر إليه كان الاسم مقدما عليه)"[1]" وفي هذا وجهات نظر وذلك إذا كان الفعل نتيجة وجود فاعل وعمله في إيجاده،فإن الاسم هو نتيجة عمل ــ نتيجة فعل ــ ومن ثم يصعب القول بالأولوية.

وقد ذكر (العكبري) تعاريف متعددة للاسم منها: (الاسم ما استحق الإعراب في أول وضعه، وقال آخرون: ما استحق التنوين في أصل وضعه)"[2]" والمقصود هنا، هو أن من علامات الاسم الإعراب في أول وضعه والتنوين في أصل وضعه علما أن هذا التعريف لم يورد كل علامات الاسم بل بعضها فقط. وما يهمنا من هذا قوله (علامة الإعراب والتنوين في أول وضعه) وهو ما نقف عنده حينما تدعو الحاجة إليه.

ويؤكد كثير من اللغويين على أن الأسماء باقية رغم زوال الذّوات كل شيء موجود هو موجود باسم،كما أنه كان يعتقد أن المعدوم هو

---

1 – الإيضاح في علل النحو، ص84، الزجاجي، تحقيق مازن مبارك، ط، 2، بيروت، لبنان، 1973

2 –التبيين عن مذاهب النحويين والبصريين والكوفيين، ص،121.

كذلك ليس له اسم"[1]" والموجودات أنواع قال فيها نصر الدين التوصي (للشيء وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في العبارة، ووجود في الكتابة، والكتابة تدل على العبارة، وهي على المعنى الذهني، وهما دلالتان وضعيتان تختلفان باختلاف الأوضاع)"[2]"وفي هذا النص إشارة إلى مختلف العلاقات القائمة بين الاسم والمسمى وأنه ليس مجرد علامة يعرف بها المنسوبة غليه وإنما هو فكر وتفكير.

ومما ينبغي مراعاته في هذا الموقف أن لاعلاقة للاسم باسمه. لأن الذي يختار الاسم ليس هو المسمى وإنما هو المسمي الشرعي للمسمى. وأن للاسم خلفيات عند من يختاره وقد جمع هذه الحالات ابن مالك في باب العلم من ألفيته وحصرها في عشرة أصناف"[3]"

ومما نقف عنده ونقره في هذا المجال أننا لانعرف عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ بذاته، وأن من يتسمى به يتخذ تصورا خاصا عند ندائه.ولا نعرف موسى ولا عيسى صلوات الله عليهما بالذات، وإنما نعرفهما وغيرهما من الأنبياء والمرسلين بالأسماء.

التأنيث والتذكير

---

1 – اللسان والإنسان، حسن ظاظا، ص 72.

2 – الإشارات والتنبيهات،أبو علي بن سناء.ج، 1، ص،180.هامش،3/1.

3– دليل السالك إلى ألفية ابن مالك،ص،17، إعداد وتعليق عبد الحميد رشواني، دمشق، ط، 1، 1996.

يدور الحديث غالبا في كل مناسبة حول اثنين: ذكور وإناث.وفي تراثنا العربي يغلب توظيف الذكور وتغليبهم عن الإناث، مما يمكن أن يوصف مجتمعنا بأنه ذكوري. وهذا امتداد للتصور العربي للجنس الأنثوي في المجتمع العربي.

وفي مجال الدراسة اللغوية العربية يظهر تغليب التذكير على التأنيث فالمذكر هو الأصل (والأصل في الأسماء التذكير والتأنيث على التذكير)"[1]" ومن هذه النظرة كان الحديث عن التأنيث بعد التذكير غالبا، وكان المؤنث أقل من المذكر، ودونه ذكرا وعناية من حيث الوظيفة الاجتماعية، وكان المؤنث ممنوعا من الصرف، لايقبل التنوين ولا يجر بالكسرة فكان كالأعجمي الأجنبي عن المجتمع العربي.

ومن هذه النظرة سوف لانجد أبا حيان يحيد عما تعارف عليه العرب واتفقوا عليه، و سوف لا نجد للمؤنث مكانة ومكانا في لياليه، مع أن المتعة والأنس هما من صنيع التأنيث، ولكن جلسات أبي حيان هي غير جلسات اللهو والطرب والمجون؛ وإنما هي جلسات العقلاء المفكرين المتدبرين، ويمكن القول: كانت لرجال الدولة أنواع من المجالس؛ منها جلسات طرب وغناء، وفيها تكثر القيان والجواري وتصدر أصوات المغنيات والراقصات وترتفع أسماؤهن، ومنها جلسات العلم والأدب، وفيها تعلو أسماء الذكور غالبا، ومنها جلسات التخطيط والتدبير وفيها تغلب أسماء القادة والأبطال.

---

1 – الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، ج،2، ص،148.

ومن تتبع الأسماء التي وردت في ليالي أبي حيان يظهر أن جلساته تميزت بطابعي الجد والوقار، كان فيها علم رفيع وفن صاف وحديث نقي، كانت فيها رفعة وترفع، كان الكلام فيها يوزن قبل أن يلقى، ويحاسب الملقي عما ألقى،وكل ما ظهر من أسماء الإناث والتأنيث بشقيه اللفظي والمعنوي قليل، ومعظم ما جاء منه كان لأسماء غير أنسية إلا ما ندر. وخلاصة الملاحظة أن ليالي الأنس خلت من أنس الأوانس.ومما جاء فيها هي هذه الأسماء: (نرجس، سندس، دنيا، نغمة، ياقوت، سكينة، قريحة، تفاحة، منارة) ومع قلتها فهي أسماء تبعث الراحة في النفس والنشوة في المجلس.

وقد تنبه الوزير إلى خلو مجلسه من جنس الإناث فأثار هذه القضية في الليلة الرابعة والثلاثين ــــ بعد فوات الأوان ــــ فقال الوزير لأبي حيان: (قد شرَّف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عز وجل: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور فقلت: في هذا نظر فقال ماهو؟ قلت قدم الإناث، ولكن نكَّر وأخَّر الذكور وعرَّف، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم، ثم قال هذا حسن، قلت: و لم يدرك هذا أيضا حتى قال أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكور، فقال هذا مستوفى)"[1]"وقوله: هذا، يدل على أن أبا حيان كان مقتدرا بأسلوبه وعلمه على الإقناع.

---

1 – الإمتاع والمؤانسة الليلة الرابعة والثلاثون.ج.3.ص.101.

ومن أدلة ذلك، أن أبا حيان قال: (فجمع الجنسين بالتنكير) وهنا مغالطة وهي: أن الحديث عن الجنس لايعني الحديث عن الإفراد، وأن الجنس هو مجموعة من الأفراد، والفرد عنصر من عناصر الجنس، وأن التأنيث من علاماته وخصائصه أنه لايقبل التنوين، والمنون هنا هو الجنس ومن ميزات تنوينه، هو موازاة القمم الصوتية، وتساويها.

وقد ورد غير المنصرف مصروفا في القرآن الكريم لتحقيق هذه الميزة؛ كقوله تعالى (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً)"[1]" فجاءت سلاسل منونة، بينما هي على وزن مفاعل الممنوع من الصرف؛ وفيها علتان مانعتان من الصرف هما: التأنيث والوزن. ومع ذلك جاءت مصروفة لتتساوى قمم الزوايا الصوتية عند الأداء، وليكون لها وقع وتأثير على المتلقي.

ومن أنواع التنوين ووظائفه أنه يفيد التمكين، والمؤنث في الثقافة العربية دون التمكين أي ليس متمكنا من التصرف في جميع حاجاته ومن ثم لايقبل التنوين لئلا يصير متمكنا، ويلتقي الاسم المؤنث والاسم الأعجمي غير العربي في عدم قبول التنوين. والتأنيث الذي جاء به الوزير وحلله أبو حيان بحذق ومهارة وحسن تخلص، يعد أسلوبا من أساليب المتعة والأنس، وميزة من ميزات أبي حيان، والجنس عدد وعنده نقف في إيجاز.

منتقيات التعبير

1- الآية 4 من سورة الإنسان.

العدد مفهوم حسابي عملي، منه التجريدي ومنه التجريبي، والأصل فيه التجريد إلى أن يقترن بمعدود يحدد موقعه في المعاملات؛ وقادنا الحديث عن العدد لما سبق ذكره من أنواع الأسماء والأفعال،وهو مساق منهجي؛ وكنا أشرنا من قبل إلى أن أبا حيان اتفق مع الوزير أن يعفى من أساليب التعظيم، وأن يستعمل الإفراد بدل الجمع، ولكن هناك حالات لابد من ذكرها جمعا كالليالي مثلا، أو ما يتحدث عنه من جموع. في مثل قوله (الأشراف، والأرياف والأسواق والحكام، والعجم، والقبائل، والحكماء، والعيون، والكتب) أو مما لامفرد له من جمعه في مثل: (الناس).

والملاحظ، أن هذه الجموع كلها جمعت جمع تكسير، وهو التركيب قليل المكونات ، والخفيف في النطق وعلى السمع. ويلاحظ في أساليب أبي حيان الممتعة، شيء يشبه الخلط والتداخل في المعاني والمفاهيم، وقد ارتأينا أن نفتح لها موضعا في جلساته تحت عنوان المشترك.

تعانق الألفاظ والمعاني

المشترك مفهوم لغوي عام، من معانيه تداخل المباني واختلاط المعاني، وقد عبر عنه سيبويه في ثلاث عناوين، أولها باب اللفظ للمعاني"[1]" وثانيها باب ما يكون في اللفظ من الأعراض"[2]" وثالثها باب الاستقامة

1 – الكتاب، ج،1، ص،24 سيبويه

2 – نفسه، ص، س.

من الكلام والإحالة"[1]" وجميعها تدور حول علاقة اللفظ بالمعنى. وقد سماه ابن جني من بعد سيبويه (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)"[2]"، ومن أسمائه عند غير هؤلاء (الاشتراك والترادف والتضاد)وفيها يدور الحديث حول مجالات تلاقي الألفاظ والمعاني ويمكن أن نجمع هذه المفاهيم والمصطلحات تحت عنوان التكافؤ.

التكافؤ والتكامل

عنينا بهذا المنطوق، مراعاة مبدأ التعاون والتآلف والتكامل والتنويع بين اللفظ والمعنى، وقلنا بهذا تجنبا للوقوع في ما اختلف فيه القدماء والمحدثون من أسماء هذا التلوين اللفظي.ولعل أول من تنبه إليه سيبويه بقوله (اعلم أن أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين،واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف)"[3]" ومن تتبع حركات الباحثين في هذا المجال نجد أن كثيرا من اللغويين قدماء ومحدثين بحثوا (في المشترك اللفظي في اللغة وخلصوا إلى نتائج إيجابية وأخرى سلبية، ثم اقترحوا بعض الطرق للتخلص من تلك الآثار السلبية)"[4]" ونحن نقف عند الجانب الإيجابي منها.

---

1 – نفسه، ص، 25.

2 – الخصائص، ج.2 ص،145 ابن جني.

3 – الكتاب، سيبويه، ج،1، ص،24.

4 – الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بين النظرية والتطبيق، ص،50، محمد نور الدين المنجد، مط، دار الفكر دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت،ط، 1، 1999م.

كان أبوحيان يحيي ليالي متميزة متنوعة خاصة لخواص، وكان عليه أن يختار ويتخير من الألفاظ والمعاني ما يتلاءم ومستوى الحضور، وكان عليه أن يظهر جانبا من سعة معلوماته، ومن ثم كان له أن يستعمل من الألفاظ ما يثير الانتباه والاهتمام.

ويتحدث أبو حيان في موضع آخر، عن الرجاء والخوف، ثم عن الشجاعة والجبن، فيصفهما بأنهما (خلقان متصلان بالخلق، ولذلك فإن الجبان يتعذر عليه أن يصير شجاعا ويعز على الشجاع أن يتحول إلى جبان)"[1]" ثم يجمع بعض الصفات والخصال في مسرد من الحديث يقوم بالفصل بينها كالسخاء والكرم، ومدح الغير؛ ويقابل البخل بالذم والتوبيخ)"[2]" وجميعها مفردات متقاربة المعاني متباعدة مكونات المباني.

ومن حسن توظيفه للمفردات، قوله: ـــ مثلا ـــ (يتعذر على الجبان أن يصير شجاعا، ويعز على الشجاع أن يتحول إلى جبان) فقد مزج بين الضدين وزاوج بين التركيبين، يتعذر على الجبان ويعز على الشجاع، الجبان يصير والشجاع يتحول؛ وفي توظيف هذه المفردات واختيار مواقعها متعة وراحة واستئناس.

وفي الليلة السابعة والثلاثين يأتي بالمتضادات اللفظية في ما يناهز العشرين في مثل (العقل- الحمق، والعلم- الجهل، والحلم - السخف،

---

1 - الإمتاع و المؤانسة،ج،3.ص، 151 ط.بيروت.

2 - الإمتاع والمؤانسة،ج،3، ص،151.

والقناعة- الشره،..)"[1] وإنها ليلة زاخرة بمتقاربات المعاني في مختلف المباني، ونرى في هذا التقارب اللفظي، تقاربا فكريا وثقافيا بين جلساء أبي حيان.

هذه حال توظيف أبي حيان للمفردات المتقاربة لفظا أو معنى وقد أدرجها في سلاسل ومجموعات منتظمة لافتة للنظر، وفيها أظهر مقدرته على الاختيار وحسن التنظيم والتوظيف.

والتنويع يقود إلى الحديث عن العدد، ومما نقصد بالعدد دراسة الأسماء من حيث الإفراد والتثنية والجمع، في كتاب الإمتاع والمؤانسة، و لاحظت شيوع المفرد وضآلة الجمع، والمثنّى، باعتبار أن الليالي الواردة بنيت جلها على أسلوب المحادثة، والحوار.

ونقصد بالعدد هنا دراسة الأسماء من حيث الإفراد والتثنية والجمع، ومن بين الصيغ الذاتية المفردة الواردة في الإمتاع والمؤانسة: (الخير، ، عيسى، ليلة، الإنسان، يحي، الوزير، النفس، أبو، ابن، الهلالي، المصباح، البحر، الشمس، الجنّة...).

---

1 - نفسه.

الجنس

وفي الليلة الرابعة والثلاثين، تحدث أبو حيان التوحيدي مع الوزير عن المؤنث والمذكّر، فقال الوزير: قد شرف الله الإناث بتقديم ذكرهن في قوله عزّ وجل: (يهب لمن يشاء إناث ويهب لمن يشاء الذكور) فقلت: في هذا نظر، فقال: ما هو ؟ قلت: قدّم الإناث ولكن نكّر، وأخّر الذكور ولكن عرّف، والتعريف بالتأخير أشرف من النّكرة بالتقديم، ثم قال: هذا حسن، قلت: و لم يدرك هذا أيضا، حتى قال: (أو..، يزوّجهم ذكرانا وإناثا)،فجمع الجنسين، بالتنكير مع تقديم الذكران، فقال: هذا مستوفى"[1]". ونستلهم من خلال هذا الحديث الذي دار بين أبي حيان التوحيدي والوزير دلالة التقديم والتأخير والتنكير والتعريف وتعادل الإناث مع الذكور.

الجمع

الجمع في المفهوم العام هو مازاد عن اثنين، وقد أقره بعض الأصوليين في اثنين"[2]"وفي العموم هو ما زاد عن واحد (كالجمع بين الذكر والأنثى في عقد الزواج)، وفي مجال الدراسة اللغوية العربية هوما زاد عن اثنين، وينقسم الجمع في مجال الدراسة اللغوية إلى قسمين، جمع مذكر وجمع مؤنث ثم ينقسم كل منهما إلى قسمين، جمع سالم وجمع تكسير.

---

1 ـــ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي ، ج 3 ، ص 101.

2 – ينظر تفصيل هذا القول في الإشارات في أصول الفقه المالكي، ابن خلف الباجي، ص، 60 مط، تقديم، محمد الشريف الرحموني، مط، دار ابن حزم،ط،1 ،2000م

ويتميز جمع المذكر السالم بزيادة واو ونون، أو ياء ونون عن مفرده، كجمع لفظة معلم على (معلمين ومعلمون)، في حين يتميز جمع المؤنث السالم بزيادة ألف وتاء على مفرده، في مثل (معلمات) التي مفردها معلمة، ومن هنا يظهر أن لا تلاقي ـــ من حيث الشكل ـــ بين جمعي الذكور والإناث في حالة السالم.

أما جمع التكسير فهو يتميز بأنه يقل عن السالم في عدد مكوناته،كما يتميز بعدم الاطراد في التقعيد، وقد جمع بعض الدارسين ظواهره في قوله: جمع التكسير (هو ما تغير بناء مفرده بزيادة أو نقص أوتبديل شكل أو بهما أو بالجميع.)"[1]" وليس لجمع المؤنث المكسر قاعدة تضبطه، وسيظهر عندالحديث عن درجات شيوع هذه الجموع مقاصدها وخلفيات توظيفها.

إنّ الغالب في كتاب الإمتاع والمؤانسة، هو جمع التكسير المتناسب مع التغيير السائد في كل ليلة من ليالي التوحيدي، لتحقيق (الخفة المؤدية إلى الاستئناس، ومن أمثلة الجمع المكسر في الإمتاع والمؤانسة (الأشراف) وقد لحقته الزيادة، وأصابه التغيير؛ وكذلك وردت أمثلة أخرى مثل: (الأرياف، الأسواق، حكّام، العجم، القبائل، الحكماء،

---

1 – التحفة السنية بشرح الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد، ص،73مط، دار الإمام مالك، طبعة منسوخة، 2002م

عيون، كتب، الناس...)وكلّ هذه الصيغ المذكورة تتميز بتغيير في الشكل مع الزيادة أو النقصان.

تداخل وتفاعل

اللغة مجموعة من التنظيمات العقلية والتشكيلات الصوتية المتداخلة بعضها المتكاملة مع بعضها في تأدية المعنى والدلالة؛ وهي في ذلك، مستويات ومجالات وموضوعات"[1] ويتعذر أحيانا لإقامة الفواصل بين تلك الظواهر، وقد اجتمعت تحت مفاهيم ومصطلحات، كالاشتراك والترادف والتضاد. ولهذه الظواهر وظائف نوعية وتنويعية يدركها المختصون وكان لأبي حيان فيها جولات ولنا معه فيها وقفات.

---

1 – ينظر هندسة المستويات اللسانية في الآثار العربية، مكي درار، ص،03، مخطوط

الفصل الثاني
دلالة الأنس في التراكيب

مع المفاهيم

يعد هذا العنوان معبرا عن نفسه بنفسه، فهو شكل مركب من عـــدة عناصر أساسية، فهو مجموعة من المفردات، تلاحقت ببعضـــها، وتعاونـــت جميعها بما يحمله كل عنصر منها من معنى إفرادي، لتندمج في مبنى تـــركيبي، يقود المتعامل معه إلى شيء جديد، يسمى التركيب وفي كل تركيب دلالة.

ويدل المفهوم اللغوي للتركيب، على أن شيئا ما،تم وضعه فوق غيره، مع أنه هنا يدل على وضع شيء في محاذاة غيره. وفي تحديد مفهوم التركيـــب قال ابن فارس (الراء والكاف والباء أصل واحد مطرد منقاس، وهو علو شيء شيئا)"[1]" ويستعرض أمثلة لهذه الصيغة، ولكنه لايقدمها في بنـــاء (تركيـــب)، ويظهر أن صاحب النص تحدث عن صيغة (فعل) من الثلاثي المجـــرد؛ دون المزيد لأنه يهتم بالأصول، ويظهر أنه لا يعترف بأصالة الرباعي،"[2]" على مـــا قال به الصرفيون.

---

1 – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج،2، ص،432.

2 – أصل الفعل عند الصرفيين نوعان: ثلاثي مجرد، ورباعي مجرد، ومثلوا للرباعي بصيغة (أفعل في مثل: أكرم، وفعلل في مثل دحرج) ولنا على هذا تحفظ أوضحناه في كتابنا: هندسة المستويات اللسانية

وتحدث ابن منظور عن هذه الصيغة مجردة ومزيـــدة ومضـــعفة، وفي المضعفة قال (والتركيب يكون اسما للمركب في الشيء، كالفص يركـــب في كفة الخاتم لأن المَفعَل والمُفعَّل كل يرد إلى فعيل. وثوب مجدد جديد، ورجـــل مطلق طليق، وشيء حسن التركيب)"[1]" ولكن المفهوم من كلام ابن منظـــور، هو وضع الشيء فوق بعضه. يظهر ذلك في قوله (كالفص يركب في كفـــة الخاتم) وهو يعني وضع شيء فوق شيء.

ويقودنا هذا الحديث إلى شيء جديد وهو أن التركيب اللغوي نوعان: شيء فوق بشيء، وشيء بجانب شيء. والثاني أقرب إلى مجـــال الدراســـة، ويسمى التركيب المتلاحق العناصر في تجاور وانتظام وانسجام (جملة) والجملة ينظر إليها في مجال الدراسة من ثلاثة جوانب: مفهوم وتشكيل ودلالة.

---

1 – لسان العرب، ابن منظور ،ج، 1، ص،432.ع،2، س، 22.

مفهوم الجملة

يفهم مما قيل في التركيب إنه تقديم لمفهوم الجملة، مـــن حيـــث هـــي تركيب متآلف متلاحق الأجزاء، في تجاور وانسجام وانتظام. وهذا من حيث المفهوم اللغوي العام، أما إذا نظرنا إلى الجملة من جانب التأصـــيل، وجـــدنا لابن فارس فيها قولا جاء فيه: (الجيم والميم واللام أصلان: أحـــدهما تجمـــع وعظم الخلق، والآخر حسن)"[1]" ونحن نفيد من التعريفين معا. نفيد من الأول، معنى (التجمع) ومن الثاني (الحسن) مع أننا لا نقر بوجود أصـــلين للشـــيء الواحد.

و لم تزد أشهر المعاجم اللغوية القديمة على ما قال به أبو علي الفارسي، إلا توضيحات وتفاسير كقول ابن منظور: (والجملة واحدة الجمل، والجملـــة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرق، وأجمل له الحســـاب كـــذلك، والجملة جماعة كل شيء، بكماله من الحساب وغيره)"[2]" ولا يفهم من هـــذا كله، ماهية الجملة اللغوية. هذا من حيث المفهوم أما شكل الجملة من حيث مكوناتها وعناصرها، فذاك غير جميع ما سبق.

مكونات الجملة

الحديث عن مكونات الجملة، هو الحديث عنها نفسها، وذلـــك لأن الجملة هي مجموعة من العناصر الأصلية الحاملة لمعان أصلية وهي مستقلة عن بعضها.وتاريخ الحديث عن الجملة في آثار الدارسين العرب غير محدد المعالم،

---

1 – معجم مقاييس اللغة، أبو علي الفارسي، ج،1، ص،481، مادة "جمل" تحقيق عبد الســـلام محمد هارون، مط، دار الفكر، ط،1 ،1979م

2 – لسان العرب، ابن منظور، ج،11، ص،128، ع،1، س،2، مط، دار صادر بيروت .

وتقترب من الاتفاق على أن ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة 761 هجرية هو أول من فصل القول فيها.

وقد وجدنا له حديثا عنها في الباب الثاني مطلع القسم الثاني من كتابه مغني اللبيب، تحت عنوان تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها جاء فيه: (والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، ك، قام زيد. والمبتدأ وخبره، ك، زيد قائم.وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضُرِب اللص، وأقام الزيدان. وكان زيد قائما. وظننته قائما)"[1]" ومن بعد هذا التعريف والتقسيم الأولي العام، بالوصف والتمثيل، انتقل إلى تقسيمها من حيث البناء وجعلها ثلاثة بقوله: (انقسام الجملة إلى اسمية، وفعلية، وظرفية)"[2]" وإذا ما حاولنا حصر مجال مفهومه في تقسم الجملة وجدناه يقوم على ما في صدر الجملة كقوله: (الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم، زيد قائم، والفعلية هي التي صدرها فعل،كقام زيد. والظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور نحو أعندك زيدٌ؟ وفي الدار زيدٌ)"[3]"مع تحفظه على الجملة المصدرة باسم الفعل في مثل: هيهات. وفي المجرورة في مثل: في الدار زيد"[4]" وفي جميع الأمثلة اعتمد صدارة التركيب أساسا للتقسيم.

1 – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري،ج، 2، ص،490.تحقيق، مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، ط،1،1972م

2 –نفسه. ج، 2، ص، 492.

3 – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري، ج، 2، ص،492.

4 – ينظر تفصيل القول في هذا التحفظ، في مغني اللبيب، ق، 2، ص،492.

وحاولنا العثور على تقسيم غير هذا عند اللغويين، فوجدنا معظمهم على ما قال به ابن هشام، من حيث التقسيم. أما من حيث الأسبقية في الحديث عن الجملة فوجدنا عند أبي الوليد بن رشد المتوفى سنة 595 هجرية في كتابه المسمى (الضروري في صناعة النحو) حديثا عن الجملة من حيث قوانينها وإعرابها وتقسيمها إلى بسيطة ومركبة"[1]"وهذا يعارض من قال بأسبقية ابن هشام في الحديث عن الجملة.كما أن هناك كتابا بعنوان الجمل لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة (337 هج) انطلق في حديثه من الحديث عن أقسام الكلام، وجعله ثلاثة."[2]" وهو صنيع ابن هشام. ونحن إذ نقف عند هذه الأقوال والآراء، فإنما ذلك، لنجعل المتتبع لهذا العمل في الصورة الحقيقية، قبل أن نبدي برأينا في الموضوع.

ومن بعد هذا نقول إذا قسمنا الجمل بحسب بداياتها، فينبغي أن تراعى نهاياتها كذلك، وإذا فعلنا ذلك، تغير العدد وتبدل المعدود. وارتفع الحساب من ثلاثة إلى أكثر منه بكثير،وفي توضيح توجهنا نقول:

إذا كان عدد الجمل يتحدد من النظر إلى بداياتها فإنها ليست ثلاثا وإنما هي أربع، فما تصدرها اسم كانت اسمية وما تصدرها فعل كانت فعلية، وتبقى الظرفية، ويمكن أن تنقسم قسمين أيضا ظرفية زمانية وظرفية

---

1 – ينظر الضروري في صناعة النحو،القسم الثاني، ص،76 القاضي أبو الوليد بن رشد.62 وما بعدها، تحقيق ودراسة، منصور علي عبد السميع، تقديم محمد إبراهيم عبادة، مط، دار الفكر العربي، ط،1.

2 – ينظر في هذا :كتاب الجمل، للزجاجي، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته الشيخ ابن أبي شنب، مط، جول كربونل الجزائر، ط، 1، 1926م

مكانية،وإذا قبلنا بظرف واحد، بقيت الجملة التي تتصــدرها الأداة وتســمى الحرفية.ومن هنا يتغير العدد والمعدود.

ونحن إن قبلنا بهذا التقسيم للجمل بحب بداياتها، بقي أن نقــول ومــا حال النهايات. وإذا كانت البدايات أربعا، كانت النهايات مثلها. وكان لكل بداية أربع نهايات، ويرتفع العدد التوقعي الاحتمالي من أربع تشــكيلات إلى ستة عشر شكلا"[1] محتملا. هذا حديث التركيب والجملة من حيث المفهــوم العام،ونجد للجملة تعريفات عديدة في المعاجم العربية وما قدمناه للجملة منها هو جزء من كل.

وما قدمناه من حديث الجملة العربية هو جزء مــن كــل، يعــود في معظمه إلى جانب التعريف دون التقسيم، وإذا كان ما تقدم حديث تعريــف فيبقى للتقسيم نصيبه.

أقسام الجملة العربية

التقسيم هو تجزئة الكل، بحيث تصبح الوحــدة الرئيســة وحــدات صغرى. وكل وحدة من الوحدات الصغرى يمكن تقســيمها إلى وحــدات أصغر منها متساوية أو غير متساوية، ومن ثم، لايراعى في التقسيم التســاوي وإنما يراعى فيه المطالب كتقسيم التركات والأسهم، ومن هذه النظرة ينطلــق مفهوم التقسيم اللغوي وبخاصة تقسيم الجملة العربيــة في الــتفكير العــربي.

---

1 – للتوسع في هذه الفكرة ينظر: هندسة المستويات اللسانية مــن المصــادر العربيــة.ص،68 مخطوط.مكي درار.

ولتقسيم الجملة العربية في التراث العربي نظرتان واحدة تدور حول المكونات والثانية حول مراتب المكونات.

ومن أصحاب النظرة الأولى محمّد سمير نجيب اللّبدي الذي جعل الجملة العربية ثلاثة أقسام: (فعليّة واسميّة وظرفيّة؛ فالفعليّة ما ابتدأت بفعل تامّ أوناقص، نحو: لعِب التّلميذ، أو كسّر الزّجاج، وكان الطّقس بارداً، والاسميّة ما صدّرت باسم نحو: زيد ناجح، وهيهات العفيف، والظّرفية ما صدّرت بظرف نحو: أعندك علي؟ أو مجرور مثل: أفي الدّرج كتاب؟)"[1]"

وقدكانت أقسام الجملة عند الزمخشري "[2]"أربعة أقسام هي: الثلاثة السابقة، مضاف إليها الجملة الشرطية،كما قسّم اللّبدي الجملة الاسميّة باعتبار خبرها إلى: (جملة كبرى؛ وهي ما كان الخبر فيها جملة نحو: محمّد قام أبوه، ومحمّد أبوه قائم، وجملة صغرى؛ وهي الجملة الّتي بنيت على المبتدأ نحو: قام أبوه في الأولى، وأبوه قائم في الثانيّة، كما تنقسم الجملة الكبرى إلى قسمين آخرين هما: جملة كبرى ذات وجهين وهي الجملة الّتي يكون صدرها وعجزها فعلاً نحو: زيد يقوم أبوه، وجملة ذات وجه واحد وهي الجملة الّتي يكون صدرها اسماً وعجزها فعلاً نحو: محمّد أبوه قائم)"[3]" وأوضح مختار

---

1 -معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية، محمّد سمير نجيب اللّبدي، ص53.

2 - هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد جار اللّه الزّمخشري(ت538 هج)، يُراجع مقدّمة الزّمخشري لغوياً ومفسّراً.

3 - معجم المصطلحات النّحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللّبدي، ص53.

بوعناني أنّ (الجمل تُقسّم؛ باعتبار الإعراب إلى جمل لها محل مـــن الإعـــراب وجمل لا محلّ لها من الإعراب)"[1]"

مراتب المكونات

وقد أكّد اللّغويون أنّ التّقديم والتّأخير في بناء الجملة؛ يُؤدّيان وظيفـــة إيصال المعنى وتوضيحه، منهم عبد القادر الجرجاني الّذي أدرك وظيفة التّقديم والتّأخير بقوله: (هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيـــد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تـــزال تـــرى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقـــك ولطُف عندك، أن قدّم فيه شيء وحوّل اللّفظ عن مكان إلى مكان)"[2]".

إنّ تقديم الشّيء يأتي على صيغتين: إحداهما ما أطلق عليه عبد القـــاهر الجرجاني التّقديم على نيّة التّأخير، كتقديم الخبر على نيّة المبتـــدأ، والمفعـــول المنصوب على الفاعل فهما لم يخرجا إذا قدّما عن هيئتهما قبل تقـــديمهما، أو عن حكمهما الإعرابي كقولنا: (منطلق زيد) بدلاً من قولنا: (ضـــرب زيـــد عمراً)، فقُدّم لفظ (منطلق)، ولكنّه بقي خبراً كما كـــان، وقُـــدّم المفعـــول (عمراً) مع بقائه مفعولاً بهيئته وحكمه الإعرابي. أمّا الصّيغة الثانيّة عند عبـــد القاهر الجرجاني الّتي يأتي فيها التّقديم لا على نيّة التّأخير، ولكن بنقل الشّـــيء عن حكم إلى حكم، وعن إعراب إلى إعراب. ويُمثّل بالجملتين (زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) ثمّ يقول: (فأنت في هذا لم تُقدّم المنطلـــق علـــى أن يكـــون

---

1 - يُنظر نحو الجمل، تحقيق ودراسة مختاربوعناني،ص27.مط، الفجر للكتابة والنشر وهران،ط، 1، 1995م

2 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمّد شاكر، ص106.

متروكاً على حكمه الّذي كان عليه مع التّأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيداً على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تُخرجه من كونه مبتدأ إلى كونه خبراً)"[1]" والسبب هو العناية بالمتقدّم، والاهتمام به، والتّنبيه عليه؛ أي جعله بارزاً.

وفي مناظرة بين متّى وأبي سليمان في كتاب الإمتاع والمؤانسة، أوضح أبو سليمان (أنّ معاني النّحو منقسمة بين حركات اللّفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتّقديم والتّأخير، وتوخي الصّواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك...)"[2]".

وزعم بعض البلاغيين أنّ التّقديم والتّأخير يُعد من المجاز؛ حيث أورد صاحب مجاز القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى قوله تعالى: (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت)"[3]" وقال إنّه من مجاز المقدّم والمؤخّر، وأراد ربت واهتزّت، وأورد أيضاً قوله تعالى: (إذا أخرج يده لم يكد يراها)"[4]".

وهناك المتتبعون لأشعار العرب والنّص القرآني الّذين يُؤكّدون أنّ سبيل التّقديم والتّأخير هو كما ذكره الزّركشي، ليس نقلاً لما وضع له اللّفظ كدلالة

---

1 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمّد شاكر، ص،107

2 -الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص121/119.

3 -سورة الحج، الآية05.

4 -سورة النور، الآية04.

(الأسد) على الشجاع، و(طغى) على العلو والارتفاع؛ وإنّما هو إعادة ترتيب لبناء الجملة، بما يتناسب مع حقائق حركة الحياة والكون، فيتقدّم ما أريد التّنبيه عليه والالتفات إليه، ويتأخر ما لم يرد فيه ذلك)"[1].

توقعات المواقع

إنّ رتبة المسند إليه؛ أي المبتدأ هي التّقديم، وقد يكون الإبقاء على تقديمه في بعض الأحيان أولى من تأخيره، تبعاً لدواعي المقام، وذلك كأن يكون المسند ذا ضمير له (أن يُقرّر الحكم في ذهن السّامع ويُؤكّده بسبب تكراره، سواء كان اسماً ظاهراً...أو ضمير المخاطب نحو: أنت ركبت، كرر متّصلاً ومنفصلاً، وكذلك: هو ركب)"[2] أمّا تأخير المسند إليه فلا يعدو الغرض من تقديمه إذ نصّ على ذلك محمّد بن علي الجرجاني في قوله: (الدّاعي إلى تأخير المسند هو الدّاعي إلى تقديم المسند إليه)"[3] وبهذا فإنّ الدّاعي إلى تقديم المسند هو الدّاعي إلى تأخير المسند إليه، بُغية إيصال المعنى وتحقيق مراد المتكلّم.

ويرى صاحب الإيضاح في علوم اللّغة، أنّ تقديم المسند إليه؛ إنّما يكون (لكون ذكره أهم، إمّا لأنّه الأصل، ولا مقتضى من العدول عنه، وإمّا

1 -التّقديم والتّأخير، ومباحث التّراكيب بين البلاغة والأسلوبيّة، مختار عطيّة، ص17 .

2 -الإشارات والتّنبيهات في علم البلاغة، محمّد بن علي الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، ص02.

3 - الإشارات والتّنبيهات في علم البلاغة، ص78.

ليتمكن الخبر في ذهن السّامع؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه)"[1]". وأورد القزويني في هذا المضمار شواهد شعريّة، كقول الشّاعر:

والّذي حارت البريّة فيه   حيوان مستحدث من جماد

ومنه قول الشّاعر:

ثلاثة ليس لها إيّاب   الوقت والجمال والشّباب"[2]

وفي هذه النماذج تقدم المسند إليه (ثلاثة) تشويقاً للخبر وانتظاراً له ويفضّل النّحويون تأخير المسند والإبقاء على تقدّم المسند إليه، فقد أورد السيوطي أنّ (تأخير المسند يكون أولى من تقديمه، إذا كان تقديم المسند إليه أهم)"[3]" وإلى ذلك ذهب الشّيخ أحمد الدمنهوري أيضاً"[4]" وقد يمكن العدول عن تقديم المبتدأ، إذ يجوز تقديم الخبر (إذا لم يحصل بذلك لبس أو نحوه، فتقول: قائم زيد، قائم أبوه زيد، وأبوه منطلق زيد، وفي الدّار زيد، وعندك عمرو)"[5]".

موقعيات المسند

إنّ تقديم المسند على المسند إليه يكون لإفادة الاختصاص تارةً، والاهتمام بالمتقدّم تارة أخرى، حيث يذهب التفتازاني إلى القول: (إنّ تقديم

---

1 -الإيضاح في علوم البلاغة، ص33.

2 -فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء العيد، ص04 وسمعناهم يبدلون (الصحة بالجمال) فيقولون (الوقت والصحة والشباب) وهو أرجح في رأينا

3 -شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي، ص38.

4 -يُنظر: حلية اللّب المصون على الجوهر المكنون (بهامش شرح عقود الجمان للسيوطي ص85.

5 -شرح ابن عقيل، ج01، ص227.

المسند يكون الغرض منه تخصيصه بالمسند إليه)"[1]" ففي قول اللّه عزّوجلّ: (إنّ إلينا إيّابهم ثمّ إنّ علينا حسابهم)"[2]" قد تقدّم المسند للاختصاص؛ أي (إنّ إيّابهم لا يكون إلاّ للّه، وإنّ حسابهم لا يكون إلاّ عليه)"[3]".

وقد يتقدّم للاهتمام به، كما في قوله تعالى: (واعلموا أنّ فيكم رسول اللّه)"[4]" إذ قُدّم الخبر للاهتمام به، وهو توبيخ للقوم على ما صــدر منــهم ، ورسول اللّه بينهم، لذلك قُدّم الخبر؛ لأنّه (مناط التّوبيخ، ومحل الزّجر)"[5]" فيما فيما ذهب آخرون إلى إضافة أغراض يتقدّم المسند لأجلها منــها: التّفــاؤل بتقديم المسند على المسند إليه، والتّنبيه على أنّ المسند خبر لا نعت؛ فــالغرض الأوّل كقول الشّاعر:

سعدت بغرّة وجهك الأيّام وتزيّنت ببقائك الأعوام.

والغرض الثاني كقول حسّان بن ثابت:

له راحة لو أنّ معشار جودها على البرّ كأنّ البرّ أندى من البحر"[6]"

وقدكانت الغاية من تقديم المسند في هذا الموضع هي إيصــال المعــنى المقصود بأوضح تعبير وأصح أداء.

---

1 -شروح التّلخيص للتفتازاني، ج02، ص10.

2 -سورة الغاشية، الآية26.

3 -دلالات التّركيب دراسة بلاغية، محمّد أبو موسى، ص177.

4 -سورة الحجرات، الآية07.

5 - دلالات التّركيب دراسة بلاغية، محمّد أبوموسى،ص،163.

6 - علم المعاني، حسن طبل، ص116/115.

إنّ الجملة لها علاقة وطيدة بالنّص، كعلاقة الرّوح بالجسد، لا غنى لأحدهما عن الآخر، والنّص هو المجال الّذي تقوم فيه الجمل بمختلف نشاطاها؛ باعتبار أنّ له وجهين: وجه الدّال، ووجه المدلول، وأيضاً (النّص يصنع ذاته، ويعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم)"[1]" ولست هنا بصدد الغوص في أنواع وأقسام الجمل، بقدر اهتمامي بدّراسة دلالة الأنس في الجمل الّتي وردت في ليالي أبي حيان التّوحيدي، وستتم دراستها حسب درجة الأنس المحققة، وليس من خلال ترتيبها حسب اللّيالي.

تنويعات في المكونات

الاسم في مفهومه العام هو ما ارتبط بمسمى ودل عليه، ومن هذه النظرة تتعدد الأسماء وتتنوع بتعدد المسميات وتنوعها، وقبل الحديث المفصل عن الأسماء، نشير إلى أن المسميات ــ وبخاصة الإنسانية ــ تتداخل أسماؤها مع أوصافها، ويختص الإنسان ــ وبخاصة العربي ــ بثلاث مفردات هي الاسم واللقب والكنية؛ والفرق بينها أن الاسم يعطى للمولود عند ولادته وأحيانا قبل ولادته، واللقب هو وصف يعطى للمسمى من المجتمع قد يكون مدحا أوذمّاً، ويبقى للمسمى أن يختار كنيته بنفسه لنفسه، فيسمى (أبو..).

ومن الفوارق الأخرى أن الاسم يعطى للمولود عند ولادته والذي يختار الاسم هو المسؤول الشرعي عن المولود، أو من يوكل إليه تسمية المولود، ومن هنا يكون المسمى العربي ليس مسؤولا عن اسمه، ولكن المجتمع العربي أعطى للمسمى فرصة التعويض وتدارك الأخطاء إن وقع ذلك في اسمه.

---

1 - مجلّة القلم، ع، 2. سنة،2005م، وهران.

يولد المولود فيختار له الوكيل الشرعي اسما، وينمو هـذا المولـود في المجتمع عاملا متعاملا مع من في محيطه، فتعطى له تسمية ممن يتعامـل معهـم وتسمى تلك التسمية (لقب) ومرجعيتها غالبا إما صفة بالمدح أو صفة بالذم، وعلى المسمى أن يقبلها ويتعامل بها، بما فيها، من حسـن أو قـبح.ويبقـى للمسمى مجال ثالث له أن يختار فيه اسما ينسب إليه (أبو فلان أو أبو فلانـة) وفي هذه التسمية مجال للتدارك والتعويض لغير ما يرضاه المسمى من وكيله و من مجتمعه.

وفي توظيف الأسماء عند أبي حيان تنويع بـين الأجنـاس والطبقـات والمسؤوليات والوظائف، فقد جاء ذكر أصحاب الرسائل السماوية بدءا مـن محمد عليه السلام، وعيسى بن مريم. ومن الأتباع والأصحاب عائشة رضـي الله عنها، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود. ومن أهل الحكم والسياسة، عمر بن عبد العزيز، وعبد الملـك بـن مروان، وعمرو بن العاص، وكثير من الفقهاء والعلماء.

ومؤدى توظيف هذه الأسماء الأعلام أن فيها ذكريات وعبرا، وفيهـا غمز ولمز، وفيها تذكير بالحكم والحاكمين ومآل كل منهم، وفيه إشارات إلى صالح الأعمال وثوابت الأفعال، ففي ذكر علي بن أبي طالب إلى جانب عبد الملك بن مروان، وفي ذكر عمر بن الخطاب إلى جانب عمر ين عبد العزيـز فيه إشارة التأصيل، وفي الجميع تاريخ يذكر وخصال تسجل.

وتبقى بعد هذا إشارة وهي: أن الاسم الدال على الــذات بــالتعيين والتخصيص قد يشاركه في وظيفة التعريف هذه غيره، مما يسمى بــالمترادف والمشترك اللفظي والمعنوي.ونخصص هذه المفاهيم والمصطلحات بحديث نــأتي إليه لاحقا.

في الاختلاف والاتفاق

لقد اهتم علماء العربية بقضايا التنويع والتلوين الصوتي والدلالي واعتبروها لوحات فنية فيها تلوين مناظر وتغير أفكار. وكان لظاهرة الترادف والأضداد والاشتراك اهتماما بالغا ونجد ابن فارس يركز على العلاقات بين الأسماء والمسميات، ويسمى الأشياء المتفقة في شكلها المختلفة في معانيها (المشترك اللفظي) كلفظة العين الدالة على الماء، والمال، والسحاب، ويسمى الشيء الواحد المختلف في اللفظ المتفق في المعنى (المترادف) ويسوق لذلك أمثلة كثيرة منها: نحو السيف والمهنّد والحسام."[1]". وقد وظف هذه التلوينات أبوحيان في الليلة الثانية، والعشرين بقوله: (قد يوصف الشيء بأنّه واحد بالمعنى وهوكثير بالأسماء، ويوصف بأنّه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى ويوصف بأنّه واحد بالجنس وهو كثير بالأنواع، ويوصف بأنه واحد بالنّوع وهوكثير بالشخوص، ويوصف بأنه واحد بالاتصال، وهوكثير بالأجزاء، وقد نقول في شيء إنه واحد بالموضوع، وهوكثير بالحدود كالتفاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة، وقد يكون واحدا في الحدّ وكثيرا في الموضوع، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن....)"[2]"وهو في هذا النص، يثير الانتباه والاهتمام للاستفادة، كما يثير التفكير والاطلاع وتوسيع آفاق الجلسة والجالسين بالأنس والاستئناس.وفي الحديث المشترك اشترك الحاضرون، واتفقوا وامتنع البعض وخالفوا وفي ذلك كله اتفاق واشتراك واختلاف وتضاد والشيء يظهر بضده، وفي اللغة موضوع يسمى التضاد

1 – ينظر علم الدلالة، فائز الداية، ص،77.

2 ـــ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي،ج، 2، ص،89.

التضادّ

التضاد أسلوب لغوي من شأنه أن يزيد المعاني وضوحا، لأن الأشـــياء تزداد بيانا بالأضداد ودلالته، كما يقول قدامه:(تكون بمعرفة الضدّ، فإذا عرفنا الحياة وعلمنا أنّها بالحس والحركة عرفنا ضدّها الذي هـــو المـــوت،)"[1]" ووفي الليلة التاسعة من ليالي أبي حيان ورد الكثير من الألفاظ المتضـــادّة (كـــالنوم اليّقظة، والحسن والقبيح، والخير والشر، والرجاء والخوف، والعدل والجـــور، والشجاعة والجبن، والسخاء والبخل، والحلم والسفه، والطّـــيش والوقـــار، والعلم والجهل، والمعرفة والنكرة...)"[2]"، وما جاء به أبو حيان مـــن ألفـــاظ التضاد لها بعدان ـــ في ما يظهر لنا ـــ واحد لغوي ظاهر، وآخـــر نفســـي خفي.

يظهر الجانب اللغوي للتضاد في ما يمتلكه الرجل من زاد لغوي يؤهلـــه لأن يلون التعبير ويجيد التدقيق، ويصيب الغرض، بينما يتمثل الجانب النفسي في أن ذلك تعبيرا عن حال الجلساء فهم مختلفـــون في مـــواقفهم وآرائهـــم متفاوتون في معارفهم متفقون ـــ شكلا ـــ في واقعهم فهم الجلساء المتفقـــون أما صاحب الجلسة مختلفون متضادون في ما ســـوى ذلـــك. وفي الاتفـــاق والاختلاف رحمة ومتعة وأنس.

وتعمق التوحيدي في معاني هذه الصفات المتضادّة حيث قال: (مناشـــئ الحسن و القبح كثرة، منها طبيعي ومنها بالعادة، ومنـــها بالشـــرع، ومنـــها بالعقل ومنها بالشهوةّ...)"[3]"وعن الصواب والخطأ قال إنهما أمران عارضـــان

---

1 ـــ طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1389هـــ ـــ 1996م.

2 ـــ الإمتاع والمؤانسة ، ج،1،ص 149.

3 ـــ الإمتاع والمؤانسة،ج، س، ص، 150.

للأقوال والأفعال والآراء والعقل هو الحكم الوحيد الذي يكشف أين الخطــأ وأين الصواب مثلهما مثل الخير والشر.

الضديات الإنسانية

يواصل التوحيدي حديثه عن الضد والاختلاف وينتقل من مجال اللغــة إلى مجال الإنسان ويقف عند أصعب نقطة وهي أخلاق الإنســان وصــفاته فيقول. عن الرجاء والخوف إنهما عرضات للقلب ولا يدخلان في باب الخلق ولا يخرجان أيضا وأما الشجاعة والجبن فهما خلقان متصلان بالخلق، ولذلك حسبت التوحيد فإن الجبان يتعذّر عليه أن يصير شجاعا و يعزّ على الشجاع أن يتحول إلى العكس ويصبح جبانا، وعن السخاء والبخل يطول الحــديث لأنهما يدخلان في باب معاملة النّاس ويقابل السخاء والكرم مدح الغير أمّــا البخل فيقابله الذّم والتوبيخ."[1]"

ويصف التوحيدي الحلم والسفه بأنهما خلقان وقال فيهما (الخلق ابــن الخلق، والولد شبيه بوالده)"[2]"، وهنا دلالة على أن الحلــم والســفه صــفتان تابعتان للمزاح في الأصل، وأما الجهل والعلم، فليسا من الأخــلاق ولا مــن الخلق، وإنّما يبرزان من صاحب الأخلاق والخلق"[3]". ويتجاوران مع المعرفــة والنّكرة، ولكنهما أعلق بالحسّ، ويقابل الحق والباطل المعرفة و النكرة لأنــك تعرف الحق وتنكر الباطل وذكر التوحيدي الكثير من المتضادات كالشــك، واليقين والصدق والكذب، والإخلاص والنفاق.

---

1 – سنتعرض للنوادر التي جاءت في الكتاب المتعلقة بالبخل في الفصل الرابع من هذا البحث.

2 – الإمتاع والمؤانسة أبو حيان الوحيدي، ج،1، ص،152

3 ـــ نفسه، ج،1، ص 152.

وفي آخر حديثه في الليلة التاسعة قال له الوزير (...فقد مرّ في أخـــلاق الإنسان ما يكفي مجلس الإمتاع والمؤانسة)"[1]" وهذا القـــول فيـــه اســـتمتاع واستئناس للوزير بما قاله التوحيدي وأنّه استكفى بكل ما ذكره من أضـــداد وشروحها.وفي هذا أنس للحضور وتأنيس للتوحيدي وفيه ما يكفـــي مـــن الدلالة على الشبع والإحساس بالاكتفاء بالأنس والمؤانس.

الأضداد التجريدية

تقدم الحديث عما ساقه أبو حيان من الأضداد في مختلـــف المجـــالات، منها جانب معنوي وهاهو هنا يعود في الليلة السابعة والثلاثين إلى الحـــديث عن الأضداد المعنوية التجريدية فيأتي بحوالي عشرين ضدّا وهـــي : (العقـــل، والحمق، والعلم ، والجهل، والحلم والسّخف، والقناعـــة والشّـــره والحيـــاة، والرّحمة والقسوة، والأمانة والخيانة والتيقظ والغفلة، والتّقى والفجور والجرأة والجبن، والتواضع، والكبر، والوفاء والغدر، والنصيحة والغـــش، والصـــدق والكذب، والسّخاء، والبخل، والأناة والبطش، والعدل والجـــور، والنشـــاط والكسل، والنّسك والفتك، والحقد والصّفح)"[2]".

وهذا التنويع اللفظي يقرع الحس ويشعره بالنشوة من جهة، كما يقـــدم صورة وتصورا لما كان يراه التوحيدي في الناس ولعل لمجالسيه النصيب الأوفر

---

1 ــ الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي، ج، 1، ص 157.

2 ــ نفسه، ج،3، ص،128.

من ذلك وأن له كل إيجابيات الوصف ولغيره اقتسام البقيـــة بالتســـاوي أو بغيره.

شهية الحديث

لقد ذكر التّوحيدي عدّة جمل تؤكّد حدوث الأنس والمتعة اللّغوية، من خلال الحديث أو الجلسة الّتي كانت تجمعه مع الوزير، ففـــي اللّيلـــة الأولى وردت الجملة: (رجعنا إلى الحديث فإنّه شهيّ)"[1]" ويعنينا من هـــذه الجملـــة قوله: إنّه شهيّ، والأصح: (إنّ الحديث شهيّ) للتّأكيـــد علـــى أنّ الحـــديث والكلام لذيذ كطبق فاخر، و(شهيّ) خبر المبتدأ (الحديث) ويدلّ على المتعـــة والأنس، فمثلما تكون العودة إلى تناول الطّعام اللّذيذ بلهفة، يحدث الرجوع إلى الحديث الممتع والمتميّز بشوق فريد؛ حيث تحققت المتعة لغوياً من خـــلال لغة التخاطب والتّواصل، وكذلك كان طلبه العـــودة إلى الحـــديث الشـــيّق والمؤنس.

وجاءت الجملة الاسميّة (إنّه شهيّ)؛ لتوضح حال ما قبلـــها (رجعنـــا إلى الحديث)، وذلك بتحديد سبب العودة والرجوع إلى الحديث، والكلام المتمثل في لذاته، ممّا خلق نوعاً من المؤانسة الّتي تجلب صاحبها إلى مواصلة الحـــديث المؤنس الشهي، دون انقطاع.

وفي هذه الأحاديث تغيّر الموقع النّحوي لـــ (الحديث)، ومعه تغيّـــرت الوظيفة النّحويّة، فبعد أن كان اسماً مجروراً بـــ (إلى) أصبح ركناً أساســـياً في الجملة الثانية (إنّه شهيّ)، حيث تحوّل إلى اسم (إنّ) والهاء هنا وردت ضميراً

---

1 – الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي،ج،3، ص،22

متصلاً في محل نصب، الاسم لتأكيد أنّ الحديث كان شهياً، ولا يزال الجـــزء المتبقي يحتوي على مشهيات أخرى.

خلفيات الأنس والإمتاع

إنّ الوقوف على دلالة الجملة، يســـتوجب أخـــذ معـــاني المفـــردات والتّركيب النّحوي (بالإضافة إلى أخذ هذا التّركيب بعـــين الاعتبـــار، يـــتم التّركيب الدلالي اعتماداً على معاني المفردات، وهو بالتّالي يحتوي على معجم يسند لكلّ مفردة معنىً أولياً، ويحتوي من جهة أخرى على قواعد إســـقاطيّة، تدل على طريقة مزج المعاني المفردة الّتي يتوصل بها إلى مـــدلول الجملـــة)"[1]" والمتمعن في الفقرة الموالية لهذه الجملة (فإنّه شهيّ) يدرك أنّ الحديث الشـــهيّ له عدّة عوامل كالنّغمة، والحروف المتقاومة، واللّفظ العذب، والسّجع"[2]".

يقول أبو حيّان على لسان أحمد بن محمّد (إذا أنصفنا التزمنـــا مزيّـــة العراقيين علينا بالطّبع اللّطيف، والمأخذ القريب، والسّجع الملائـــم، واللّفـــظ المؤنّق، والتّأليف الحلو، والسّبوطة الغالبة، والموالاة المقبولة في السّمع الخالبـــة للقلب، العابثة بالرّوح، الزّائدة في العقل، المشعلة للقريحة، الموقوفة على فضل الأدب، الدّالة على غزارة المغترف، النّائية عن عـــادة كـــثير مـــن الســـلف والخلف)"[3]" وفي هذا، يدعو أبوحيان إلى الالتزام والاحتـــذاء بـــالعراقيين في

1 -اللّسانيات التّوليديّة والتّحويلية، عادل فاخوري، ص54، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت.

2 -الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التّوحيدي، ج،1،ص22.

3 –نفسه، ج،1،ص64.

الكتابة، والإبداع المعروفين بحلاوة التّأليف، ورونقة الألفاظ الّتي تتأثّر بها النّفس وتتلذذ، وتثير الإحساس.

وقبلها قال الوزير: (تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتّأنيس)"[1]" فالنّفس تحتاج إلى التّرويح؛ لأنّها (سريعة الدّثور)"[2]" و(الحديث معشوق الحس بمعونة العقل)؛ فالجملة الاسميّة (الحديث معشوق الحس) ترتبط بالأداة "الباء" مع معونة العقل، وهي الجملة الإضافيّة، والمعنى الّذي نستشفه هو أنّ الحس يعشق الحديث بوجوده ومساعدته؛ فالحس والعقل عاشقا الحديث الّذي يحتوي على إبداع راق وجميل، إذ أنّ العشق يكون بين الحبيب والمحبوب، وهنا ورد كدلالة على الهيام وجنون الحّس بسماع الحديث الحلو، والمثير للفرح.

وجاء في اللّيلة الأولى، من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التّوحيدي (إنّ في المحادثة تلقيحاً للعقول، وترويحاً للقلب)"[3]" هذه الجملة الاسميّة تؤكّد أنّ المحادثة تلقّح وتغذي العقل، وتروّح عن القلب وتشرحه فيستريح، والأصل إنّ تلقيح العقول وترويح القلب في المحادثة، ووردت جملة القسم قبلها (واللّه إنّي لأشتري المحادثة)"[4]" وقالها عمر بن عبد العزيز، وهذا

---

1 – الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التّوحيدي ج،1، ص19.

2 - نفسه، ج،1،ص،23

3 –نفسه، ج، 3 ص26.

4 –نفسه، ج،3 ص،27.

القسم أو الحلف يؤكّد مدى أهميّة المحادثة، ولكي توجد أقسم بأنّه سيشتريها إن استدعى الأمر، وكأنّها شيء ثمين من الضروري توفيره.

وفي اللّيلة السّادسة قال: (...وأُشرب النّفس حلاوته)"[1] والأصل: (أشرب النّفس حلاوة القول) وجاءت هذه الجملة الفعليّة لتؤكّد أنّ الحديث الّذي جرى يتضمّن غزارة التّأليف، وحلاوة الكلام، والنّفس توّاقة إلى أن تشفي غليلها بحسن الإبداع، بغية الشعور بالفرح، وهو دلالة على الأنس، ومن خصائص فن القول: اللّفظ الحسن، والاسترسال، والسّجع الملائم.

ويعود بنا الحديث عن القسم في الجملة (واللّه لقد وجدت روحاً كثيراً)"[2] والرّوح بمعنى الرّاحة والدّلالة الّتي نستوحيها هي حدوث السّعادة النّفسية والعقليّة؛ فالنّفس تستأنس للكلام الجميل والمفيد، سواء بالسّمع أم بالبصر، عن طريق القراءة في كتاب ما، فتهتزّ النّفس، ويرتاح الحس، ويحدث الأنس.

رونق الكلام

ورد في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة، قوله: (ما أكثر رونق هذا الكلام)"[3] وهي جملة تعجبيّة جاءت للتّعبير عن مدى الانفعال النّفسي والشعوري من خلال التأثر والانبهار بحلاوة الكلام ورونقه، والتّعجب حالة نفسيّة ترتسم ملامحها على الإنسان بسبب تأثره من مشهد ما، فيعبّر عن ذلك

1 – الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التّوحيدي ج،3 ص95.

2 – نفسه، ج3، ص66.

3 - نفسه.ج،2، ص23.

الاندهاش وهو (انفعال النّفس عمّا خفي)"[1]" وجاء أسلوب التعجب من كثرة رونق الكلام الّذي يثير شهيّة النّفس والعقل معاً لنهل المزيد فهو أعلى مرتبة في كنه العقل (ما أعلى رتبته في كنه العقل)"[2]" والأصل: ما أعلى رتبة الكلام المرونق في كنه العقل.

وفي الجزء نفسه قال الوزير: (هذا كلام عجيب)"[3]" والعجب هنا من دّقة الشّرح والتّفاصيل الّتي قدّمها أبو حيّان، كما وردت جملة تؤكّد الانبهار في قوله: (ما أحسن هذا المجلس)"[4]" والحسن يدلّ على الجمال والبهاء، ورضى النّفس، والوزير قد اعترف بحسن المجلس الّذي حضره مع أبي حيّان؛ لكونه شعر بالرّضى، فعبّر عنه بصيغة التعجب، مفضلاً ذلك المجلس، وقد ذكر الزّجاجي أنّه (إذا تعجبت من شيء، وجعلت في أوّل كلامك "ما" مع الفعل فانصب المتعجب منه لوقوع ذلك الفعل عليه، وذلك قولك: ما أحسن زيداً.

وفعل التّعجب ثلاثي أبداً؛ مثل: فعُل وفعِل كقولك: كرُم زيد، وجهِل عمرو، وبرَد الماء وما أشبه ذلك تدخل عليه الهمزة، وتنقله من فاعله وتجعله مفعولاً في اللّفظ، وتجعل الفعل على وزن أفعل كقولك: ما أكرم زيداً، كما أنّ فعل التعجب غير متصرّف)"[5]".

---

1 - عن الدلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة، مطهري صفيّة، ص236.

2 - الإمتاع والمؤانسة،ج،2، ص23.

3 – نفسه ،ج،س، ص،22

4 - نفسه، ج،2 ص103،.

5 -الجمل للزّجاجي، ص112، صححه ابن أبي شنب، مطبعة جول كربونل بالجزائر 1926م.

وورد في كتاب الإمتاع والمؤانسة: (ما أحسن ما قصصته وما أتيت به)"[1]" وهذه الجملة تؤكّد استمتاع الوزير بالحديث الّذي سمعه، والمتميّز بالأسلوب القصصي، حيث ذكر له التّوحيدي كلّما قيل حول فضل العرب على العجم، وفي حديث آخر قال: (هذا كلام عجيب، ما سمعت مثله على هذا الشّرح والتّفصيل)"[2]" حيث يؤكّد الوزير على اندهاشه، وعجبه لما سمعه من حديث لم يعهده من قبل على هذا النّحو، من الشّرح والوضوح.

حكم مؤنسة

نقف في اللّيلة السادسة والعشرين من كتاب الإمتاع والمؤانسة، على جملة من الحكم الموجزة الّتي تتضمّن أنساً روحياً، وهي بمثابة الدّواء النّفسي لكلّ متمعن ومتفحص في هذه الحياة؛ لكون الحكم مستوحاة من التّجارب الصّحيحة (فالحكمة قول رائع يتضمّن حُكماً صحيحاً مسلّماً به، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت؛ فالأمثال ميزان يُوزن به رقي الأمم وانحطاطها، وسعادتها، وشقاؤها، وأدبها، ولغتها...)"[3]" فالأمثال تختصر تجارب الأوّلين، وتفيد اللاحقين، والخلف يتعلّم من السّلف.

وقد وردت حكم كثيرة، وأقوال عديدة، كلّها تحدث بها السّلف عن التّواضع، والكرم، والنّجاح، والحب، والمودّة بين النّاس؛ حيث يقول

1 -الإمتاع والمؤانسة، ص73، ج1.

2 - نفسه، ج2، ص23.

3 - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، السيّد أحمد الهاشمي، ج02، ص25.

التّوحيدي على لسان ابن المراغي"[1]": (عليك لأخيك مثل الّذي عليه لك،عاشر أخاك بالحسنى، من عُرف بالحكمة لاحظته العيون بالهيبة، عند الشّدائد تذهب الأحقاد، الكريم للكريم محلّ، من صان لسانه نجا من الشرّ كلّه)"[2]". ووردت أبيات شعريّة على شكل حكم للنّصائح الّتي تحتويها، وعلى سبيل المثال قول الشّاعر:

يا رُبّ هزْلٍ كان منه الجدّ   ورُبّ مزح كان منه الحقد

يعد هذا البيت الشعري عبارة عن حكمة، تنصح كلّ مازح بتدارك لسانه، فليس دائماً المزاح أو الهزل يرضي السّامع ويفرحه؛ إذ يمكن أن يكون سبباً في نشوب خلاف قد يصل إلى نشوب العداء والكراهيّة، والملاحظ أنّ الوزير في ختام هذه اللّيلة لم يطلب ملحة الوداع كعادته، واكتفى بالقول (هذا فن موف للغاية)"[3]" إنّ مثل هذه الأقوال والحكم، أضفت من دون شك على مجلس الوزير أنساً فريداً، وراحة تكتنفها الرّغبة في مواصلة الحديث، والاستماع إلى المزيد من مثل هذه الحكم والأقوال.

ومن الجمل الّتي تدلّ على استئناس الوزيرأيضا، قوله: (واللّه لكأنّها بستان في زمان الخريف)"[4]" وتأتي جملة القسم هذه لتؤكّد حدوث الأنس؛ حيث وصف الوزير الأقوال والوصايا بالبستان المزهر في فصل الخريف، وكأنّه الرّبيع أقبل ليحوّل العبوس إلى فرح.

---

1 - ابن المراغي: هو شيخ من جلّة العلماء، وله إسهام وافر في زمرة البلغاء.

2 - الإمتاع والمؤانسة للتّوحيدي،ج،2، ص147/149،

3 – نفسه،ج،2، ص69.

4 –نفسه،ج،س، ص،س.

وتميّزت اللّيلة التّاسعة عشر من كتاب الإمتاع والمؤانسة في جزئه الثّاني بورود الكلمات القصار المتكوّنة أغلبها من المسند والمسند إليه، وهي في جلّها مستنبطة من تجارب النّاس، كما يقول أبو حيّان التّوحيدي: (كتبت إليه أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب، على مرّ الأيّام في السّفر والحضر، وفيها قرع للحس، وتنبيه للعقل، وإمتاع للرّوح)"[1]" ومن بين هذه الأقوال: (الحمد للّه مفتاح المذاهب، من ارتدى بالكفاف اكتسى بالعفاف، الزم الصّمت وأخف الصّوت)"[2]" وهي تدلّ على جملة من الوصايا والنّصائح، كشكر اللّه على نعمه والالتزام بالقناعة.

استئناس الحيوان

وفي الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة، خصّص أبو حيان ليلة كاملة لذكر نوادر، وأخبار، ومعلومات حول الحيوان، وورد قوله: (النّملة كالحكيم تجمع في الصّيف للشتاء، وهو يجمع في الدّنيا للآخرة)"[3]" وهنا شبّهت النّملة بالحكيم؛ لنبل عملها؛ ولكونها تدّخر للغد، ولتميّزها بالفطنة والحكمة؛ ولأنّها تتهيّأ للمستقبل، وفي المستقبل حياة وتفاؤل وأمل.

وتبرز دلالة الأنس في الحكمة الّتي نستخلصها، والمتمثلة في التّحضير للآتي وللمستقبل؛ فالنّملة بصغر حجمها تقوم بجهد قُورن بجهد الحكيم الّذي يستعمل الحكمة في حلّ مشاكل النّاس، ويحضرني هنا قول عمر بن

---

1 –الإمتاع والمؤانسة للتّوحيدي، ج،2، ص61.

2 – نفسه، ج،2، ص،62

3 – نفسه، ج 2،ص125.

الخطّاب"رضي اللّه عنه": (اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدا).

وذكر التّوحيدي (والحمام صنفان: إذا كان سمائياً كان أغلى ثمناً من الأرضي)"[1]" ولو بسّطنا الجملة تصبح: الحمام السمائي أغلى من الأرضي، وكأنّ الحمام العالي هو الغالي؛ أي مرتبط بالمكان المتواجد به، والحمام رمز السّلام، والحب، والوئام، ويكفي حمل حمامة وإطلاقها في الجوّ لتصل الرّسالة، وتفكك شفرتها الدّالة على السّلم.

ولعلّ الأمر المؤنس هو ما سنعرفه عن الفيل، هذا الحيوان الوحشي، حيث ورد أيضاً في الكتاب: (من الحيوان الوحشي ما يستأنس سريعاً وهو الفيل)"[2]" فالأنس عند الحيوان الوحشي مرتبط بعالمه الخاص الّذي يعيش فيه، والقرد أيضاً سريع الحس، وحسن الصّوت (القرد أهيأ الحيوان لقبول التّعليم، وهو لعوب غضوب، سريع الحسّ؛ فإذا خرج صاح بصوت عال فتخرج منه رائحة طيبة، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته)"[3]" فهو يتميّز عن بقيّة الحيوانات بصوته الجميل المقرع للحسّ.

كما جاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة، أنّ في البحر حوتاً يُقال له (البوس، يتولّد من الصّاعقة إذا كانت في البحر، وإذا وضع ذلك الحوت بين

---

1 – الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص160.

2 – نفسه، ج01، ص160.

3 – نفسه، ج01، ص174/175.

اثنين فأكلا منه تحابّا، ولا يحقد أحد على صاحبه، ويتآخيان أحسن الإخاء)"[1]" والبوس مشتق من الفعل باس؛ أي قبّل والقبلة تولّد المحبّة والود، وهذا النّــوع من الحوت إن كان متوفراً حقاً في حياتنا وفي وقتنا الحالي لما بقــي للحقــد وجود، ولا للضغينة مكان ولعمَّ السّلام.

وقد لاحظ التّوحيدي انحرافاً في الأدب، خصوصاً في الجملة من حيث الخط العربي السّليم على يد بعض الأعاجم، فراح يشارك نقــدياً في قضــيّة اللّفظ والمعنى، وهذا كمشاركة منه للدّعوة إلى التّسوية بينهما، وانتــهى إلى تحديد مقاييس اللّفظ الجيّد.

ويتحدث أبو حيان التّوحيدي في ليلة...(علينــا بــالطّبع اللّطيــف، والمأخذ القريب، والسّجع الملائم، واللّفظ المؤنق، والتأليف الحلــو)"[2]" وهنــا يدعو التّوحيدي إلى الالتزام بمقومات الصناعة الأدبيّة كحسن التّــأليف مــع لطافة الطّبع والسّجع المريح للقلب، والمشعل لقريحة السّــامع؛ فالتّوحيــدي يوصي كلّ مؤلّف أن يكون لطيف الطّبع، ورقيق الحس ليلهم غيره.

ويواصل وصيته القيّمة...(ولا تعشق اللّفظ دون المعــنى، ولا تهــوى المعنى دون اللّفظ)"[3]" فالعشق يجب أن يكون من نصــيب اللّفــظ والمعــنى، وكذلك الهوى نظراً لأهميّة كليهما، ويقول: (واعرف قدرك تســلم، والــزم

1 -الإمتاع والمؤانسة ج،01 ص177

2 - نفسه،ج01، ص64.

3 - نفسه، ص10.

حدّك تأمن)"[1]" وهذا تحذير من الخروج عن المألوف في العبارات الّتي لا تصدر عن طبع أدبي، لكون اللّسان مصدر الأمان بقدر ما يكون مصدر للتّهلكة.

إنّ التّوحيدي يجعل العقل في الإبداع عاملاً هاماً، وقوّة فاعلة ومميّـــزة، ومن المهم إشراكها مع الطّبع، والرّواية، والدّراية، حتّـــى يســـتوفي الإبـــداع عناصره الأساسيّة وتكتمل شروطه، وأمّا الجرجاني فهو أيضاً يعير العقل أهميّة في الإبداع، ويرى أنّ النّظم يتم بتناسق الألفاظ، وإشراك العقل والحس.

---

1 - الإمتاع والمؤانسة ج،01 ص،11

الفصل الثالث

دلالة الأنس في المشتقات

توطئة

الاشتقاق، منطوق يوحي بالفصل والتقسيم، ويجئ منه انشق وتشقق، وفيه قال صاحب اللسان: (اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه. ويقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج)"[1]" ويفهم مما سبق، أن لمنطوق الاشتقاق عدة مجالات في الاستعمال، ذكر منها صاحب اللسان هنا أربعة.

كما يفهم من الجميع، أن الاشتقاق توزيع وتنويع وتفريع، ولفهم وظيفته أكثر نقابله بضده ــ وبضدها تتبين الأشياء ــ الذي هو الجمود، فالجامد ــ كما أوضحناه في توزيع الأسماء ــ هو الثابت المتصلب غير القابل للتغيير، ويكون المشتق هو اللين المتغير القابل لجميع التبدلات والتغيرات،كما يكون قابلا للتطوير والتنويع والتجديد والتوليد، وخلاصته أن المشتق هو اللين المطاوع.ومن هذه النظرة نقف عند حدوده وتعاريفه ومنطلقنا من اللغة فالاصطلاح.

مع المفاهيم

جاء في الأثر، أن الاشتقاق هو مستقى من الفعل (شقق) زيدت فيه همزة الوصل والتاء، منتقل من صيغة (شقق) الثلاثي إلى صيغة (اشتقق) الخماسي

---

1 – لسان العرب ابن منظور،ج،10، ص،184، ع،2، س،05.

ومعناه العام هو التشقق والانفتاح الشيء، قال ابن فارس:(الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء.)"[1]" و(شقق الكلام: أخرجه أحسن مخرج)"[2]". ومن هذا المفهوم الذي هو(حسن الإخراج) كان منحى الاشتقاق فنيا جماليا يليق بمجالس الأنس والفرح، ذاع صيته وشاع استعماله في مختلف المجالات حتى اتفق الناس عليه واصطلحوا على مفهومه.وهو ما نقف عنده لاحقا.

الاشتقاق اصطلاحا

الاصطلاح منطوق مستقى من الفعل الثلاثي صلح بفتح اللام وضمها) زيد فيه صامتان فصار خماسيا وانتقل من صيغة فعل إلى صيغة افتعل شأنه في ذلك شأن صيغة (شقق) السابق ذكرها وخلاصة ما قيل فيه إنه (أخذ الكلمة من الكلمة)"[3]" وأخذ الكلمة من الكلمة هو نوع من التوليد والتوسيع والتوزيع منها جانب يسمى التشقق ولكن التاء فيه هي العنصر اللا فت للانتباه، لأن من معاني هذه الصيغة (افتعل) في مثل اكتسب واستحوذ هو الاستعمال والتوظيف والتملك"[4]" ولها معان أخرى تصب جميعها في هذا المجال.وتعود إلى أصل واحد وذلك ما راعاه ابن جني وارتآه.

---

1 – مقاييس اللغة لابن فارس ، ج 3، ص، 170

2 – لسان العرب، مادة (ش.ق.ق)

3 – عن الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص 145، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2003.

4 – ينظر تفصيل القول هذا في شرح الشافية ابن الحاجب ج، 1، ص،74، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد تح،كامل بركات ص.96.

أصالة وتأصيل

اختلف المختصون ــ وقلما اتفقوا ــ حول أصل الاشتقاق وكانوا في ذلك طائفتين بصريين وكوفيين؛ ذهب البصريون إلى أن أصل الاشتقاق هو المصـــدر، وأن الفعل مشتق منه، وفرع عليه، في حين ذهب الكوفيـــون إلى أن (أن المصـــدر مشتق من الفعل وفرع عليه)"[1]"، وترتب عن مفهوم الأصالة والتفريع ــ عنـــهم ــ تفاوت في قوى الأصوات والمفردات وانجر عن هذا ما علاقة المفهوم بالمنطوق.

وقسم السيوطي الاشتقاق إلى الأكبر والأصغر فقط، والأكـــبر هـــو عقـــد تقاليب الكلمة على معنى واحد، كما ذهب إليه ابن جـــني في مـــادة (قـــول) في خصائصه"[2]"، ويقول جلال الدين السيوطي: (ولم يقل بهذا الاشتقاق الأكبر أحـــد من النحويين، إلا أبو الفتح بن جني، وحكى عن أبي علي أنه كان يـــأنس بـــه في بعض المواضع)"[3]". ويهمنا من قول السيوطي آخر عبارة، وهي قوله: (كان يـــأنس به في بعض المواضع) وفي هذه الجملة تعبير صريح واضح على أن مـــن وظـــائف الاشتقاق الأنس.

علم الاشتقاق

لقد ميز الأوائل بين علمي الاشتقاق والصرف وجعلوا كلا منـــهما علمـــا متميزا مفردا بالتدوين، ومن هؤلاء ابن جني"[4]" معتبرين الاشتقاق يبحث عن كيفية

---

1 – شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأسترابادي ج،1،ص،74..

2 – الخصائص، ابن جني، ج01، ص05 إلى 11.

3 – هامش عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين على بن محمد القوشجي، ص229.

4 يقول ابن جني في باب علم التصريف : ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به" وهذا فصل بين العلمين المنصف 2/1 تحقيق إبراهيم مصطفى، ط1، 1960.

أخذ الألفاظ المتناسبة تركيبا ومعنى ورد بعضها إلى بعض؛ بينما يبحث الثـاني ـــ علم التصريف ـــ في أحوال هيئات المفردات التي لها قياس واطراد، ويرى المتأخرون أن في ذلك ارتباطا وتكافؤا بينهما وعندما (تعسّر التمييز التام بينـهما خلطوهمـا ودونوهما على مثال علم واحد حتى أنهم أقاموا لها تعريفا واحدا "[1]" جعلوهما فيـه (وسيلة من وسائل النمو اللغوي من حيث الألفاظ والصيغ وهو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى)"[2]"واعتبروا الاشتقاق آلية لغوية للتعـبير عـن الأشـياء والأحداث بصيغ اشتقاقية مختلفة.ولعل الجامع بين الآراء قولهم (توليد الكلمة مـن أصلها يسمى اشتقاقا، وتصريفها في أو زان متلفة يسمى تصـريفا)"[3]" وفي الجميـع تنويع وتفريع.

ومن هذه النظرة يكون الاشتقاق وسيلة من وسـائل نمـو اللغـة وتوليـد المفردات، والعمل في هذا الحقل يكون بالتبديل والتغيير والتوليد والتنويع، وفي هذه العمليات جميعها نوع من اللعب والتلاعب بـالمفردات ومكوناتهـا، وفي اللعـب والتلاعب نكت وفكاهات تليق بمجالس الأفراح والسمر والأنس والتـأنيس. وفي هذا المجال تحرك اللغويون ومنهم أبو حيان في مسامراته وليالي أنسه وتأنيسه.

---

1 عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد القوشجي، دراسة وتحقيق، د، أحمد عفيفـي، ط1، القاهرة

2 يراجع من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص52، ط8، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

3 – عنقود الزواهر، ص،85.

تقسيم وتفريع

الاشتقاق أشكال وتشكيلات فيه الأصالة والتفريع وفيه التقسيم والتنويع، ولكل قسم وظيفة في الدرس اللغوي العربي، وقد حصر هذه التقسيمات والتفريعات والتنويعات جميعها العرب الأقدمون في ثلاثة وهي: الاشتقاق الأكبر، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الصغير.

أ ـ الاشتقاق الأكبر: ويسميه ابن جني التصاقب وعقد له عنوانا تحت تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ومن أمثلته: حمس وحبس فيقال مثلا: حبست الشيء وحمس الشر إذا اشتد"[1]" ونلمس هنا تناسبا في مخرج حرفي الباء والميم، فكلاهما من الحروف الشفوية.

ب- الاشتقاق الكبير: قال فيه إبراهيم أنيس: (أما ما سمي بالاشتقاق الكبير، فيفسر لنا عادة بأن بعض المجموعات الثلاثية من أصوات ترتبط ببعض المعاني ارتباطا مطلقا غير مقيد بترتيب) "[2]" أي أن كل مجموعة تقوم بين عناصرها ومكوناتها علاقة تجمع بين مختلف تشكيلاتها في وحدة معانيها، كالحمد والمدح والجذب والجبذ، فهنا اشتراك في الحروف الأصول كلها، وتناسب في المعنى، لكن بلا ترتيب.

ويسمى الاشتقاق الكبير عند ابن جني، بالتقاليب الستة للكلمة مثل: (علم) وتقاليبها، شريطة أن يكون هناك تناسب في اللفظ والمعنى، دون مراعاة ترتيب

---

1 – الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، ص146.عن الخصائص

2 – من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص55.

حروف المادة اللغوية، فقد اعتبر مثلا أصوات (الجيم، والباء، والراء) مهما اختلف ترتيبها، تعبر عن القوة والشدة، وحاول التدليل على هذا بما ورد في اللغة، فقال: (جبرت العظم والفقير، إذا قوستهما، والجبروت القوة، والجبر الأخذ بالقهر والشدة، ورجل مجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه والشيء إذا حفظ قوى واشتد، ثم منه الأبجر من البجرة، وهو القوي الشرة، ومنه البرج لقوته ومناعته)"[1].

ج- *الاشتقاق الصغير:* ويسمى أيضا بالاشتقاق العام "وهو أن تشتق من الفعل "فهم" مثلا صيغا أخرى مثل: فاهم، مفهوم، تفاهم...."[2] فهذه المفردات حتى وإن اختلفت تشكيلاتها فأصولها واحدة وهي (الفاء والهاء والميم) وهي مفردة ثلاثية الأصول.

ويعرف ابن جني الاشتقاق الصغير بقوله: (فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلا من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه)"[3] أي أن يكون هناك تناسب بين معاني الألفاظ من خلال ترتيب حروفها مع اختلاف صيغها ومبانيها.

وقال فيه صاحب عنقود الزواهر في الصرف: (فالصغير أن يشترك اللفظان في الحروف الأصول كلها على الترتيب المخصوص مع التناسب في المعنى، ولا

---

1 – من أسرار اللغة العربية إبراهيم أنيس، ص55.

2 – نفسه، ص52.

3 – الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، ص146.

يتوهمن من اشتراط خصوص الترتيب لزوم بقاء الاتصال أو الانفصال بين تلك الحروف، حتى لا يكون خرج مع الخروج، أو ضارب مع الضرب متشاركين في الترتيب المخصوص)"[1]" إذ المراد مجرد التقديم والتأخير.

المشتقات

والمشتقات في العربية عديدة متنوعة باعتبار أصلها ومن ثمة كان اشتقاق الجناس و... والمشتق البلاغي وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى كهجاء ابن دريد لنفطويه بقوله: أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي عويلا عليه"[2]" (عويلاً) أي ندبا وبكاء.

والمشتقات معدودة محصورة، جمعها بعض الدارسين في عشرة وقال فيها: (المشتقات هي الكلمات التي تؤخذ من بعضها وهي: عشرة، الفعل الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم الآلة والصفة المشبهة)"[3]"وفي اشتقاق المصدر خلاف، لأن بعض الدارسين يعتبرون المصدر أصلا ومنه أشتق الفعل وآخرون يرون العكس"[4]" ولكل فريق رأيه وتعليله؛ ويتفق الجميع على أن الاشتقاق علم من علوم اللغة العربية ومجال من مجالاتها الدراسية.

---

1 – عنقود الزواهر في الصرف، علاء الدين علي بن محمد الفوشجي.

2 – البيت موجود في معجم الشامل، في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، ص،115. مط، دار العودة بيروت، ط، 1 ،1982م.

3 – معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها،محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي. ص،856.

4 – ينظر تفصيل القول في هذا في معجم الشامل ص.856.

لقد سبق حديث الوصف في مدخل هذا البحث، ونعود إليه هنـــا لدراســـة الصيغ الوصفية وتحليلها من حيث أقسامها وأنواعها كأسماء الفاعلين، والمفعـــولين، والصفة المشبهة، والمصادر، مما لها من خصائص وسمات.

ونعني بالسمات ــ هنا ــ الصيغ الصرفية، التي: (تقبل ظـــاهرة التنـــوين وتقبل الجر لفظا كالأسماء... وتحتمل الضـــمائر كالأفعـــال، وتقبـــل التصـــريف والإلصاق، وتدل على موصوف بالحدث)"[1]" ومن هذه الأقسام جميعها نتعامل مـــع ما له علاقة بهذا الموضوع"[2]" مع تلميحات إلى ما يوسع أفاق البحث وينميه.

وحديث المشتقات يتمثل ــ في ما مر معنا ــ في مجموعة من التشكيلات والتقلبات والتنويعات، مما يشبه اللعب والتلاعب بالصوامت والصوائت المنبعثة من مختلف النفوس والمشاعر والأحاسيس، ومن هذه النظرة ومن خلفياتها،كان الاقتراح على إدراج مادة الاشتقاق في هذا البحث من حيث هي مفردات متحولة متنوعـــة تنوع النفوس والخواطر،وجميعها وحدات مميزة تسمى المفردات.

الإفراد

المفردة العربية رباعية التنويع والتقسيم، هي اسم وفعل وصفة وأداة، ويتميز كل من الاسم والصفة بالإسناد، ومن ثمة كان لهما دور في تنويع المعـــنى وتوجيـــه الدلالة، وهما متداخلان عند اللغويين والمقصود بالاسم الصفة: (ما دل على صـــفة

---

1 – مبادئ اللسانيات، ص162، أحمد محمد قدور.

2 – حديث الاشتقاق موسع متنوع، والكثير منه ذو جانب تقعيدي، بينما مطلبنا هنا، جانبه العملي الوظيفي ولذا سنتجنب الحديث عن الجانب الأول إلى الثاني.

شيء من الأعيان، أو المعاني، وهو موضوع على الموصوف)"[1]" والصفة ترتبط بموصوف تظهر محاسنه أو مساوئه، وفيهما معا ضحك وفكاهة وفيهما أنس وتأنيس، ومفردات حاملة لمعان مختلفة سنرى كيف وظفها أبو حيان في لياليه؛ ومن أشهر المفردات تحركا وتنوعا ومطاوعة المصدر بأنواعه.

المصدر

المصدر منطوق متفق عليه من حيث المفهوم والوظيفة، ومختلف فيه من حيث أيهما أصل، وقد (ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه...وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه)"[2]" ويتميز المصدر بأنه ما (ليس بالفاعل، وإن كان فيه دليل على الفاعل)"[3]" والمصدر كلمة تدل على حالة أو حدث غير مقيد بزمان، ويختلف عن الفاعل بأنه هو (اللفظ الدال على الحدث، مجردا من الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظا مثل: علم، علما، أو تقديرا مثل: قاتل قتالا، أو معوضا مما حذف بغيره مثل: وعد عدة، وسلم تسليما)"[4]" ومن هذه النظرة،كان المصدر أصل الفعل، وعنه تصدر جميع المشتقات، وهو قسمان: مصدر للفعل الثلاثي المجرد، ولما فوقه، وهو إما: ميمي، أو صناعي، أو بمعنى المرة.

---

1 – المعجم الشامل، ص564 لمحمد سعيد اسبر، وبلال جنيدي؛ وينظر، اسم الفاعل والصفة المشبهة عند الصرفيين، دراسة مقارنة، د. محمود محمد علي أبو الروس، ص،15، مط، حسان،ط، 1 ،1984م.

2 – الإنصاف في مسائل الخلاف، بين البصريين والكوفيين كمال الدين، أبو البركات، الأنباري، ، ج،1، ص،235، باختصار. تأليف، محمد محيي الدين عبد الحميد،مط، المطبعة التجارية الكبرى بمصر.د،ت.

3 –كتاب سيبويه، ج1، ص118.

4 –معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص857.

وقد ورد الحديث عن المصدر في الليلة السابعة عشر من كتـــاب (الإمتـــاع والمؤانسة)، حيث سأل الوزير أبا حيان: ما تحفظ في تَفعال وتِفعال، فقد اشـــتبها؟، فقال شيخنا أبو سعيد السيرافي: الإمام ـــ نضر الله وجهه ـــ (المصادر كلها علـــى تفعال ـــ بفتح التاء ـــ وإنما تجيء تفعال في الأسماء، وليس بالكثير)"[1]" بل هي قليلة الورود في الاستعمال اللغوي.

وروي عن السيرافي قوله: إن أهل اللغة ذكروا ستة عشر اسما وزنها تِفعـــال (بكسر التاء) فطلب منه الوزير، بالتفصيل، فرد التوحيدي: (التبيان والتلقاء وتهواء، وتبراك، وتعشار، وترباع، وتمساح، والتمساح وتجفاف وتشال، وتمراد، وتلفـــاق، وتلقام، وتضراب، وتقصار، وتنبال)"[2]" والمقصود بتهواء فترة أوجزء فنقـــول: مـــر تهواء من الليل، وأما تمساح فهو الحيوان المعروف، في حين التمساح الـــذي جـــاء مصروفا يدل على الرجل الكذاب، وأما التمراد فيدل على البيت الصـــغير الـــذي يبيض فيه الحمام وتلقام: سريع اللقم، وتضراب: كثير الضرب ويقال:أتت الناقـــة على تضرابها، أي على الوقت الذي ضربها الفحل فيه وتقصار: المخنقة، ويقصـــد بـــ (تنبال) القصير.

وإذا وقفنا عند هذه المفردات متدبرين أمرها تبيَّن لنا منـــها أشـــياء. أولهـــا موقف أبي حيان من السؤال، وثانيهما جوابه عن السؤال، وثالثها خلفية الســـؤال

1 –الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ج02، ص02.

2 – نفسه،ج،2، ص2و 03.

والجواب.ومن الجميع نستقي طابع الأنس والتأنيس في جلسات الأمراء والأدباء، من خلال هذه المقامة.

كان السؤال عن المصدر في ليلة من ليالي السمر موقعها وسط الليالي، مما يوحي بتآلف النفوس وتقارب الأفكار بين أبي علي الحاكي ومجالسيه؛ وفي هذا المصدر بُعدُ التوظيف، وتنويع التصريف، ذلك أن في هذه الصيغة تداخلا بين حركات فائها وفي تداخل الأصوات وتقاطعها تداخل المعاني والدلالات والإيحاءات، فكان في السؤال وجه من وجوه الاختبار والإحراج، وفي الجواب وجه من وجوه إظهار المعارف بالعرض والاختيار، وكان لجميع الجلساء والمسامرين وجه من وجوه الفكاهة والتندر والأنس.

كان المبتغى من المسؤول ــ وهو ما تحقق ــ أن يصيب عين الصواب في الجواب، وأن يصيب عين اللباقة واللياقة في اختيار عناصر الجواب، وذلك أمام جمع من الحاضرين الشغوفين بالعلم والمعارضة والاعتراض، لأن السؤال صرفي محض يوجه نفوس المتطلعين إلى هفوات المجيب، لترتفع الأصوات بالنكير، ويستبدل المسؤول بغيره في مجالس الأمير، وفي كل ذلك كله تربص وترقب، وتوقع من الحاضرين كل وهواه، ومن وراء ذلك كله، منافسات ومطارحات، غايتها ترتيب المجالس وتحديد المواقع وتثبيت الحظوات والخطوات عند صاحب المجلس.

انتهى السؤال والجواب معا، وبدأ ما بعدهما وهو تقويم الجواب وتقييمه وصاحبه، ترتب عليه تبديل مواقع عند السائل والمسؤول، وانقسم المجتمعون

والمستمعون إلى متقبل مرتاح، ومدبر مغتاض، وهذا سر من أسرار جلسات الندماء؛ لما فيها من معارف ومعلومات، ومطارحات ومغامرات.

وكان الانطلاق من سؤال إلى مواقف واختلاف آراء وتحزب جماعات؛ وقد تنشأ عنه خصومات وعداوات، وقع غير هذا في مجالس سيف الدولة الحمداني مع المتنبي وخصومه في قضية (فعلى وفعلى) بفتح الفاء وكسرها ووقع هذا من قبل مع سيبويه في ما يعرف بالمسألة الزنبورية.

المتعة الروحية

ويبقى ما بعد السؤال والجواب، حديث يتردد على الألسن، يثير التساؤلات ويوحي بالاجتهادات، يريح العقول ويؤنس النفوس بشكله ومحتواه، وقد يتأكد ذلك إذا عدنا إلى ديباجة افتتاحية الليلة السابعة عشرة التي استهلها بكلام وكأنه مبتور جاء فيها: (فرسم بجمع كلمات بوارع، قصار جوامع، فكتبت إليه أشياء كنت أسمعها من أفواه أهل العلم والأدب، على مر الأيام في السفر والحضر، وفيها قرع للحس، وتنبيه للعقل، وإمتاع للروح، ومعونة على استعادة اليقظة، وانتفاع في المقامات المختلفة، وتمثل للتجارب المخلفة، وامتثال للأحوال المستأنفة.)"[1]" وفي هذه الافتتاحية برنامج السهرة وجدول أعمالها ــ بتعبير المحدثين ــ وفيه قوة تركيز وتنظيم لما سيلقى، وتلميح لأهداف اللقاء.

إذا عدنا لهذا النص، نستجلي منه برنامج السهرة، تبينت منه فنيات، لعل أهمها الاختصار في المعنى، والاقتصار في الأداء، وذلك في قوله: كلمات بوارع، قصار،جوامع. أربع مفردات، متقاربات في الوزن والجرس والإيقاع، ففي الكلمات

---

1 – الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي ،ج.2، ص71، استهلال الليلة السابعة عشرة.

براعة الانتقاء مما قد يعجز عنه غير أبي حيان، واختصار المعنى مما هو مطلب من مطالب البلاغة.ثم يأتي بشيء من الشرح والتوضيح لأبعاد الجملتين وخلفياتهما.

بعد هذه الافتتاحية المحصورة في جملتين قصيرتين معبرتين، يفصل في إيجاز ويجمل في لباقة ما يبتغيه ويسعى إلى تحقيقه بتقديمه لمجالسيه في مجموعة من العناصر الشيقة المؤثرة وهي: قرع الحس، وتنبيه العقل، وإمتاع الروح، ومعونة على التذكر، وإمتاع في المجالس، وتمثل وخلاصة تجارب الحياة.وتمثل لأحوال الناس فيها.

الاسم الصفة

الاسم كل ما دل على مسمى وارتبط به وناب عنه في الحضور الذهني، ومن ثمة اقترنت صورته النطقية بصورته الذهنية، وتعلقت صورتاه معا بخلفية الناطق ومرجعياته بما اختزنه في ذاكرته، وترتب عن هذه العلاقات مواقف وقرارات.وقد جمع بعض الدارسين بين الوصف والاسم فقالوا المقصود بالاسم الصفة: هو (ما دل على صفة شيء من الأعيان، أو المعاني، وهو موضوع على الموصوف، أي هو ما وصف به.

الأسماء أنواع متنوعة بحسب الكائنات، وللكائنات تصورات في ذهن الناطق منها الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها؛ والناطق عندما ينطق باسم من أسماء المخلوقات تقوم أمامه وأمام المتلقي صورة ذهنية يتخذ منها موقفا إيجابيا أو سلبيا، فما يثيره فينا اسم محمد وعمر وعلي وعثمان من إحساس، هو خلاف ما يثيره في أسماعنا اسم مسيلمة، أبي جهل، وأبي لؤلؤة.

كما أن للأسماء صفات وحالات توضحها أو تؤكدها وفي تعريف النعت وهو وصف"[1]" قال النحاة في النعت: هو (المشتق أو المؤول بالمشتق الموضح لمتبوعه في المعارف المخصص له في النكرات)"[2]" ومن هنا كانت وظيفة الوصف ـــ وهو مشتق أو مؤول بالمشتق ـــ التوضيح أو التخصيص. وهذه وظيفة مهمة ومفيدة في الاستعمال.

متعة الأمثال

المثل قول أو موقف مشهور يحتذى به الناس في مختلف جوانب حياتهم، وقد جاء في القرآن الكريم ذكر المثل مفردا وجمعا، ونبهنا الله إلى فائدته كقوله تعالى (ضرب الله مثلا)"[3]" وقوله تعالى (وكلا ضربنا له الأمثال)"[4]" وقد وظف أبو حيان مغزى المثل ووظيفته التربوية والتعليمية في الحياة، فساق أمثلة استقاها من سيرة الرجال والنساء ممن يقتدى بهم.

وفي الليلة الثالثة والعشرين أورد أبو حيان أقوال الصحابة والصالحين وأحاديث الرسول عليه السلام مسندة إلى أبي هريرة، وبعد الانتهاء من سردها وروايتها قال له الوزير (ما أحسن هذا المجلس)"[5]" ومن هذا المنطلق قلنا كان للحديث عن الأعلام من الرجال والنساء تأثير على نفوس الجلساء لما في الأمثال ومواقف الرجال من متعة وأنس وتفكه.

---

1 – فرَّق أحمد بن فارس في كتابه الصابي بين النعت والوصف فجعل النعت للمحاسن والوصف لمطلق الصفات وأرجع ذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي. وينظر الصاحبي ص،138.

2 –التحفة السنية بشرح الأجرومية ص،67، محيي الدين عبد الحميد.

3–سورة النحل، الآية،75.

4 –سورة لقمان، الآية،39.

5 – الإمتاع والمؤانسة ،ج ، 2، ص،103/92، ، ط، بيروت.

حمولات الأسماء

الأسماء مسميات، ولكل اسم خلفيات ومرجعيات، تختلف باختلاف الأعراف والتقاليد بين من يختارون الأسماء. ومن هنا، تعد الأسماء مثيرات لمجموعة من الخلفيات، لما تحمله من إيحاءات. فمن الأسماء مايوحي بالفرح والابتهاج، ومنها الوحي بالبؤس والحزن، ومنها من يوحي بالفخر والعظمة، ولنا في تاريخنا العربي ما يؤيد هذه الفكرة

إن الاسم بدلالة معناه، يثير إحساس المتلقي ومشاعره، فهو – على ما أسلفناه – يفرح ويحزن، يؤنس ويوحش؛ فمن الأسماء المثيرة للحزن والأسى شهداء ثورة التحرير أمثال زبانة، ابن بولعيد، عميروش، الأمير عبد القادر و الجميلات الثلاث: جميلة بو حيرد، وبوعزة وبوباشة؛ فهذه الأسماء جميعها تثير الحزن والأسى، كما تثير المتعة التاريخية والأنس إلى أبطال الوطن، لما تحمله من أنفة وعزة و فخر، فللحديث عن هذه الأسماء، تنعقد الجلسات واللقاءات، وتقام الندوات والملتقيات.

ومن الأسماء من تثير المتعة للفكاهة المباشرة في مثل:بوبقرة وإسماعيل ياسين، ومن الأسماء المثيرة للأنس والدعابة في مثل عبد الوهاب، أم كلثوم، عبد الحليم حافظ، فيروز. وخلاصة ما ننتهي إليه، أن في الأسماء دلالات وإيحاءات ومنبهات ومثيرات، ومن هنا نتساءل عن مدى توظيف أبي حيان للأسماء والصفات في لياليه.

بعض أعلام الفكاهة

واكبت الفكاهة الأدب العربي منذ بزوغ فجره، وخطّت معـــه خطـــوات رشيدة إلى أن صارت تمثل الكلمة بكلّ معانيها من ســـخرية، وتهكـــم، ونـــادرة، وملحة...وسأكتفي بذكر بعض الأدباء الّذين عنوا بالفكاهـــة إلى نهايـــة القـــرن الثالث الهجري.

لقد طفر الهجاء طفرة قويّة، قرّبته من أدب الفكاهة فتوطـــدت علاقتـــهما، وأضحى الهزل ينبعث من ثنايا الهجاء، وكان أبو تمام أوّل من بـــوّب الشـــعر إلى أبواب، جعل من بينها باب الملح المتضمن بعض من الهجاء، والبعض الآخر وضـــع للجد موضع الهزل"[1].

أبو نواس

استطاع أبو نواس"[2]" أن يكسو هجاءه بدعابته وظرفه، واسمـــه الحقيقـــي: الحسن بن هاني، قدم إلى الكوفة بصحبة أستاذه والبة بن الحباب سنة 156 هـــج أو نحو ذلك، اجتمع وهو صغير بأقطاب الشعراء حماد عجرد، ومطيع بن إيّاس، ويحي بن زياد، كان أبو نواس مرح النّفس يتظرف ويرسل النكتة البارعة في شعره، بـــل وفي كلامه وأخباره، ووصفه بعض الكتاب بالأديب الظريف؛ والحياة بدون فكاهة حياة جافة، تثير الانقباض في النّفس، والملل، والسخط على العيش؛ لأنّ الفكاهـــة بلسم يشفي المجروح، ويزيل الكآبة، ويبعث الرّاحة والطمأنينة في القلـــب، و هـــو الذي قال :

سألتها قبلة ففزت بها   بعد امتناع وشـــدّة التـــعب

1 – الفكاهة في الأدب العربي، ص134.

2 - ولد بالأهواز سنة 139 هج.و دخل الكتّاب و عمره 6 سنوات.

فقلت بالله يا معذبتي　　جودي بأخرى أقضي بها أربي

فابتسمت ثمّ أرسلت مثلا　　يعرفه العجم ليس بالــكذب

لا تعطين الصبيّ واحدة　　يطلب أخرى بأعنف الطلب"[1]

هذه الأبيات الغزلية لغتها الدعابة و الرقّة والفكاهة .

كما قال أبو نواس مداعبا :

فراجعي الوصل فإن زرتكم　　قدر فواق فاحلقي رأسي"[2]

ويقول أحمد بن عبد ربّه في العقد الفريد: (الملح نزهـــة النّفـــوس، وربيـــع القلوب، ومرتع السّمع، ومجلب الرّاحة، ومعدن السرور)"[3]والملح مفردها ملحـــة، وهي الحديث الطيّب الّذي يطرب النفوس، والقلوب، ويؤنس السّامعين ويريحهم.

وقد اصطنع أبو نواس مذهباً له في الظرف يقصد به الإضحاك، حتى أنّـــه في إحدى المرّات رآه البعض يصلي في جماعة فقالوا: ما هذا؟ فقال: أردت أن يرتفـــع إلى السّماء خبر ظريف"[4] وهي دعابة من أبي نواس ردّ بها على الّذين اندهشوا من رؤيته وهو يصلي.

ويقول عبد الحميد المسلوت في تعليق عليه: (وطريقـــة الدعابـــة الســـاخرة الماجنة، والجرأة على رجال الحديث، وصاحب الحديث كانت فيه طبيعة وســـجيّة،

---

1 – عن الديوان شرح أحمد عبد المجيد الغزالي، ص،365.طبع بمصر1953م

2 – الفكاهة في الأدب العربي، ص160.

3 –نفسه، ص، 46

4 – ديوان أبي نواس ، ص،153،.

وإن جعلتها فكاهة مستملحة لدى الأدباء، وخلع عليها أدبه خلعة القبـــول عنـــد الظرفاء)"[1] وسرت جرثومة الفكاهة عنده في مطلع حياته، وفي بواكير صباه منذ أن انتقل إلى البصرة، وتأدّب في مجالسها، وذات مرّة جاء إلى أستاذه "خلف الأحمر" وطلب منه أن يستمع إلى قصيدة ترثيه و هو حيّ، و يقول صدرها:

أودى جماعة العلم مذ أودى خلف   من لا يعد العلم إلاّ ما عرف.

فقال له خلف: (ويلك، ما حملك على أن رثيتني وأنا حيّ؟ فأجابـــه: أردت أن أعلم، أقرح شعري أم لا؟ قال له: نعم، أقرح اللّه جوفك)"[2]. وكان أبو نـــواس حاذقاً، وله مهارة في الرد المجانس، والمثير للضحك، مع روعـــة التصـــوير و دقـــة العاطفة، فقد حدث أنّه كان خارجاً من دار الخلافة فتبعه الشاعر الرقاشي، وقـــال له: (أبشر أبا علي فإنّ الخليفة قد ولاك في هذه الساعة ولاية، قال أبو نواس: ومـــا هي؟ ويلك قال الرقاشي: ولاّك على القردة والخنازير، فقال أبو نواس: إذاً فـــاسمع وأطع)"[3] أي جعله من بين القردة والخنازير، وأمره بالولاء والطاعة.

أبو العيناء

أبو العيناء أديب وشاعر، وهو أبو عبد اللّه محمد بن القاسم بن الخلاد بـــن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء، مولى أبي جعفر المنصور صاحب النّوادر والشـــعر والأدب، أصله من اليمامة، وولد بالأهواز آخر المائة الثانية، ومنشؤه بالبصرة، وبها طلب الحديث، وكسب الأدب، وسمع من أبي عبيـــدة، والأصـــمعي، وأبي زيـــد

1 - نفسه،ص،259 ، وينظر محاضرات الأدباء للأصبهاني(ت502 هج)، 261/02.

2 -أخبار أبي نواس لأبي هفان، ص109، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر.

3 -نفسه ، ص،155.

الأنصاري، والعتبي، وغيرهم"[1] وقد ارتوى من كأس الجاحظ، ولقب بالفيلسوف السّاحر، حيث أنّ الفكاهة عنده تقوم في بعض مظاهرها على التخلص الفكه، إذ يروى أنّه دخل على الوزير إسماعيل بن بلبل فقال له: ما الّذي أخّرك عنّا يا أبا العيناء؟ فقال: سرق حماري، فقال له: وكيف سرق؟ قال: لم أكن من اللّص فأخبرك"[2] وهنا يرد أبو العيناء ساخراً، ومفاكهاً للسّائل، ورغم كونه فقد حماره أجابه أنّه لم يكن برفقة السّارق الّذي سرق حماره.

وهذا مظهر آخر نلمح فيه تخلص أبي العيناء مفاكهاً، فقد خاصم أبو العيناء علوياً، فقال له العلوي: أتخاصمني وأنت تقول كلّ يوم: اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد؟ فأجابه أبو العيناء، لكنني أقول: الطيبين الطاهرين، وأنت لست منهم"[3] وهكذا ردّ أبو العيناء على العلوي بسخرية جريئة واصفاً إيّاه بغير الطيّب وغير الطاهر.

إنّ أبا العيناء كان يعرف من أين تؤكل الكتف، فيروي النكتة اللاّذعة، والأفكوهة الضاحكة بأسلوب يميّزه التهكم، والسخرية أحياناً، والمرح أحياناً أخرى، ويصدر الدعابة الّتي تسكن النفوس، كما كان قمّة في دنيا الأدب، والشعر، والملحة وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم، آية في الذكاء، واللسن، وسرعة الجواب"[4].

---

1 - نفسه، ص162.

2 – أخبار أبي نواس لأبي هفان، ص،169و170

3 - الفكاهة في الأدب العربي، فتحي محمد معوض أبو عيسى، ص170.

4 – نفسه، ص، 170 .

وتأثّر أبو العيناء بمدرسة الجاحظ في أدب الفكاهة، فيسخر ولا يبالي، رغم أنّ سخريته لاذعة، ولسانه سليط، لكنّه مثير للضحك، وصار أعمى بعد أن ناهز الأربعين، حيث خرج من البصرة فاعتلّت عيناه، وأضحى ضريراً ليعود إليها، وتوفي بها سنة 283 هج، وقيل سنة 282 هج"[1]

ابن الرّومي

امتاز ابن الرومي بالهجاء في شعره، مرتكزاً على الدعابة والتّصوير (وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به، وحتّى صار يقال: أهجى من ابن الرّومي)"[2]" ورغم أنّه كان عصبي المزاج لكن إن نعم بهدوء البال حينا، أطنب لسانه مدحاً، وثناءاً، وقولاً ساحراً، وأبدع في التّصوير الهزلي، وهو القائل:

أطلق الجرذان باللّيل   وصِح هل من مبارز؟"[3]"

وقد أغرم ابن الرومي بالسخرية، والتهكم بالعيوب الجسدية، والصفات المنبوذة كالبخل، حيث قال:

غدونا إلى ميمون نطلب حاجة   فأوسعنا منعا جزيلا بلا مطل

وقال: أعذريني إنّ بخلي جبلّة   وإنّ يدي مخلوقة خلق القفل"[4]"

و هذا دلالة على البخل، لكن ابن الرومي عبّر بفكاهة بارعة عن الموقف.

ولد ابن الرومي سنة221 هج؛ أي بعد ميلاد الجاحظ بعشرات السنين، فلا بدّ من أن يكون قد تتلمذ عليه، حيث تركت النّزعة الجاحظية آثارها في نزعة ابن

---

1 - نفسه ص،169.

2- الفكاهة في الأدب العربي ، ص ، 182. عن وفيات الأعيان، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة النّهضة 1948 م.

3 -نفسه، ص189.

4 -نفسه، ص،189

الرومي، وقال عنه ابن خلكان: (هو صاحب النّظم العجيب، والتّوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقي فيه بقيّة)"[1]" وكان ابن الرومي مصوراً هزلياً، تتجلى قدرته في الكاريكاتير الضاحك، فيبدع ويعمد إلى تفخيم الحركة في مبالغة تدعو إلى الضحك، ويصف الشيء بريشة رسّام، وساير في سخريته وتهكمه أستاذه الجاحظ.

حديث عن السلامي

ويقول التّوحيدي عن السلامي"[2]" (وأمّا السلامي فهو حلو الكلام، متسق النظام، كأنّما يبسم عن ثغر الحمام، خفي السرقة، لطيف الأخذ، واسع المذهب، لطيف المغارس، جميل الملابس، لكلامه ليطة بالقلب، وعبث بالرّوح، وبرد على الكبد)"[3]" فالتّوحيدي يستحسن شعر السلامي، ويصف طبعه بالرّقة، وكلامه بالحلاوة، ومتين السّبك ذو معنى دقيق، وله ليطة بالقلب إذ يلتصق ويعلق به.

كما ربط التّوحيدي بين شخص السلامي الّذي يحرص على أناقة مظهره، وجمال لباسه، وبين شعره الّذي اصطبغ بطابعه ومزاجه أيضاً، وهذا يؤكّد مدى أصالة، وصدق الشاعر المؤنس للقلوب؛ لتفننه في أغراض الشعر العابثة بالرّوح، وهو الّذي قال:

الحب كالدّهر يعطينا ويرتجع   لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمع

---

1 - نفسه، ص192، عن وفيات الأعيان.

2 –السلامي: هو أبو الحسن محمد بن عبد اللّه السلامي، من أشعر شعراء أهل العراق، ولد ببغداد 336 هج، وتوفي 394 هج، وقد اتّصل بالصّاحب، وعضد الدّولة، عن/يتيمة الدّهر ج02، ص396/431.

3 -الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص134.

صحبته والصبا يغري الصبابة بي والوصلي طفل غرير الهوى يفع "[1]"

ونلمس هنا رّقة الغزل، وروح الشكوى الّتي تسري فيه مثل معاناة المحـــبين، ضحايا سلطنة الحب.وقال عن الحاتمي"[2]" (وأمّا الحاتمي فغلظ اللّفظ، كثير العقـــد، يحب أن يكون بدوياً، وهو ما لم يتم حضرياً، غزير المحفوظ، جامع بين النّظم والنّثر على تشابه بينها في الجفوة، وقلّة السلاسة).

ويحدد التّوحيدي ميزتين للحاتمي: الأولى هي غزارة محفوظـــه مـــن اللّغـــة والشعر، مثل كثير من شعراء عصره، وزهوه بنفسه، ولغوياً يقول عنه التّوحيـــدي: إنه غليظ اللّفظ، وقليل السلاسة، ومفتقر لقلة الطّبع، كما يعاني مـــن انفصـــام في الشخصيّة، وهو ما انعكس على أدبه، وهذا يظل رأيه الشخصي فيه.

أسماء الأفعال

ورد في كل ليلة من ليالي الوحيدي مفردات دالة على أسمـــاء ومســـميات، منها الجوامد ومنها المشتقات وفي الجوامد ثبات وتركيز، وفي المشـــتقات تنويـــع وتطوير وتوليد ومن مفردات هذه الليالي اسم فعل الأمر، الذي كثر ذكره، وشاع وروده؛ ومن تلك المباني الإفرادية صيغة (هات) التي وردت في الليلة السابعة عشـــر

1 -يتيمة الدّهر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محي الدّين عبد الحميد، ج02، ص406، دار الفكر بيروت،1974م.

2- الإمتاع والمؤانسة،ج،3،ص،27

في قوله: (هات ما أحببت) وفي قوله أيضا: (هات حديثا يكون مقطعا للـــوداع)"[1]" وغالبا ما كان أبوحيان يستعمل اسم الفعل (هات) قبل ملحة الوداع.

إن صيغة (هات) هي اسم فعل أمر بمعنى (أعط) وأصلها (آت) من أتى إيتاء فقلبت الهمزة هاء"[2]" وقد استعملت هذه المفردة في ليلة أخـــرى، كدلالـــة علـــى الاكتفاء من حديث الأنس والتأنيس الفكري الجدي، واللغوي المجدي، وللبحث في المقابل على أنس معادل مريح للنفس والقلب لتأتي الطرفة مثلاً، أو بيتـــا شـــعريا كخاتمة للجلسة، وإعلان لمفارقة الجلسة والجلساء وآذان للخلود والراحة.

إن أسماء الأفعال هي التي تدل على أسماء الألفاظ النائبة عن الأفعال أو النائبة عن معاني الأفعال، من الأحداث والأزمنة؛ أو هي كما قال عنها جماعة من البصريين: (أسماء للمصادر النائبة عن الأفعال)"[3]" وقد احتار البصريون في شأنها، وجعلوا لها مترلة بين المترلتين؛ أوكما يقول اللغويون، هي (بين بين).

فهي أسماء دون أن تخلص في دلالتها على المعنى والذات، على الـــرغم مـــن قبولها لبعض علامات الأسماء كالتنوين والألف واللام، وهـــي مقرونـــة بالدلالـــة الزمنية، سواء الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل؛ عكس الكوفيين الذين يـــرون أنهـــا أفعال صحيحة متصرفة، وذلك لدلالتها على الحدث والزمان، ضلا عن استعمالاتها المختلفة.

---

1 – الإمتاع والمؤانسة ،ج،2.ص،23

2 – الدلالة الإيحائية، مطهري صفية ص،232.

3 - شرح الكافية الشريف الرضي،ج،2، ص،232و233،تحقيق وشرح محمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مط دار الفكر العربي بيروت، لبنان.ط،1،1975م

اسم الفاعل

اسم الفاعل هو(الصفة الدالة على فاعل، جارية في التذكير والتأنيث، على المضارع من أفعالها)"[1]" واسم الفاعل يدل على من قام بالفعل. ويتميز بكونه مشتقا من المصدر، فهو لايخلو أن يكون من فعل ثلاثي أو أزيد"[2]" ومن أسماء الفاعلين في كتاب الإمتاع والمؤانسة (عاشق، حالم، سائل سامع، راجع، راغب، ذاهل) وجميع هذه المفردات تحمل دلالات الأنس التي تكمن في العشق والحلم والتساؤل والعودة والرجوع والحركة، مما يؤكد حدوث الأنس.

وأما راغب، فمن فعل رغب يرغب رغبة ورغبا"[3]" بمعنى أحب الشيء، كما وردت مفردة ذاهل من فعل ذهل يذهل ذهولا، وهذا لا يحدث إلا من شدة الإعجاب والاندهاش بالشيء. ومن غير الثلاثي (مستأنس، ومحسن، ومخلص ومسكِّن..) وكلها أسماء تؤنس سامعيها ومشتقة من الأنس والإحسان، والإخلاص، والسكينة، باعتبار أن اسم الفاعل يدل على وصف الفاعل بالحدث.

اسم المفعول

اسم المفعول هو ثاني الصيغ المشتقة، وهو(اسم مصوغ من المصدر، ليدل على من وقع عليه فعل الفاعل)"[4]" ومن الصيغ التي وردت في كتاب الإمتاع والمؤانسة على وزن مفعول:(معشوق، ومعسول، ومرفوع، ومحفوظ، ومبسوط)

---

1 – تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في الصرف،ص،89 حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة.ط،1 ،2004م.

2 – الجمل، أبو القاسم الزجاجي، ص،546

3 – جاءت هذه المفردة في قوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ومما رزقناهم ينفقون) الآية، 90 من سورة الأنبياء.وقالت العرب دواعي الشعر أربعة: امرؤ القيس إذا شرب، والأعشى إذا طرب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب.

4 – الجمل، الزجاجي ، ص،546.

وهي صيغ تجمع بين حرقة العشق وحلاوة العسل، وبين أنفة الرفعة، وعزة الاحتفاظ، وبين نشوة الفرح، وانشراح الانبساط.

وتكمن وظيفة اسم المفعول الأساسية، في الصيغة الصرفية التي تنضوي تشكيلته الدالة فيها، على وصف المفعول بالحدث وصفا متجددا"[1]" وصيغة (مسرور)"[2]" التي وردت في الإمتاع، تصف المفعول بالفعل، ودلالتها السرور الذي يبعث على الأنس،كما وردت أسماء (مفعول) أخرى في جلسات الإمتاع والمؤانسة، منها (صبور وحليم) وأوضح ما تتصف به صيغة المفعول، من حيث دلالتها، أنها تجمع بين الحدث والذات.

ومن المتفق عليه، بين معظم الدارسين، والباحثين المختصين، أن أقسام الكلام في مجال الدراسات اللغوية وبخاصة النحوية أنها ثلاثة: (اسم وفعل وحرف معنى)"[3]" وعرَّفوا الفعل بأنه كلمة دلت على معنى في نفسها واقترنت بزمن، والاسم كلمة

---

1 – ينظر الإمتاع والمؤانسة، ج،2،ص،70

2 – نفسه، ج،2، ص، 70

3 – من أوائل الذين قالوا بهذا التعريف سيبويه في الكتاب ج،1، ص،12 قال: (الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ليس باسم ولافعل. وقال به المتأخرون كابن آجروم بعد أن عرّف الكلام، قال في تقسيمه:(وأقسامه ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) ينظر التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد، مط، دار الإمام مالك،2002 م، ونوّع فيه صاحب المغني في علم النحو، وأوضحه بقوله: (الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وهي إما اسم ك(رجلٍ) وإما فعل ك(ضَربَ) وإما حرف ك(قَدْ) ينظر المغني في علم النحو، ص،17، فخر الدين الجابردي، تح، قاسم الموشي، مط،دار صادر بيروت، ومكتبة الرشاد استنبول،ط،1،2007م. واقتصر صاحب الكافية الكبرى في علم النحو،الشيخ خليل الإسعردي في تعريف الكلام على ثلاثة عناصر جاء فيها (الكلمة اسم وفعل وحرف) ينظر الكافية الكبرى ص،26،تح، إلياس قبلان التركي، مط، دار صادر بيروت ومكتبة الرشاد استنبول، ط1 ، 2007م، وهذا تعريف ناقص وعليه جرى بعض المحدثين.

دلت على معنى في نفسها و لم تقترن بزمن. ويبقى المصدر المشـــتق غـــير وارد في التقسيم الرئيس، وإذا تأملناه وتدبرناه، وجدناه كلمة دلت على معنى في نفســـها، واقترنت بمعنى الحدث والذات معا، فإذا قلنا (كَتَبَ) كان فيها وحيٌ بزمن مضـــى، وإذا قلنا (محمد) كان فيها وحي بوجود ذات؛ وإذا قلنا (كاتبٌ أو مكتوبٌ) كـــان فيها وحي بوجود الفعل الذي هو الكتابة، وإيحاء بوجود الذات التي هي هنا مفرد مذكر.ومن هنا جاءت قيمة المصدر المشتق.

اسم التفضيل

إن حالات اسم التفضيل باعتبار المعنى واللفظ ثلاث (فباعتبـــار اللفـــظ أن يكون مجردا من "ال، والإضافة"؛ وحينئذ يكون له حكمان: يلزم الإفراد والتـــذكير دائما، ولوكان المفضل مثنًّى، أو مجموعا، أومؤنثا، فتقول: عليٌّ أنبه مـــن خالـــد، والعليّان أنبه من خالد، والعليّون أنبه من خالد؛ وهند أنبه من سعاد، والهندان أنبـــه من سعاد، والهندات أنبه من سعاد؛ والثانية أن يكون مضافا إلى نكرة أو معرفـــة، وأن يكون مقرونا ب"ال")"[1]"

أما من حيث المعنى فإنه يدل على اشتراك شيئين في صـــفة واحـــدة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصيغة، ويراد بينهما وصف مشترك"[2]" كالتي وردت في

1 – تصريف الأفعال والأسماء،في ضوء أساليب القرآن ص،403و405 محمد سالم محيســـن، مـــط، دار الكتاب العربي، بيروت، ط،1،1987م

2 – نفسه. ص،401و402 محمد سالم محيسن.

كتاب الإمتاع والمؤانسة (أبلغ أفضل أحسن أجزل) حيث ذكر التوحيدي أصـــدقاء الوزير ووصفهم بدقة؛ ومنهم: مسكويه، والأهوازي.

وهناك أسماء تفضيل اشتركت فيها الذوات في الصـــيغة نفســـها في مثـــل (أحب وأطيب وأشرف وأرق) استعملها التوحيدي في الوصف بهدف التمييز بـــين رفقاء الوزير.

الظروف

الظرف،كلمة تدل على معنى صرفي عام، هو الظرفية الزمانية، أوالمكانيـــة؛ وهو من حيث المبنى جامد. وجاء في تعريفه المعجمي (الظرف والمفعول فيـــه هـــو اسم منصوب على تقدير حرف جر "في" يذكر لبيان زمان الفعل أو مكانه)"[1]" ومن ثمة، فهو قسمان:ظرف زمان وظرف مكان، ثم يقسم كل من الزماني والمكاني إلى مبهم ومحدد"[2]" ومن تعاريفه أيضا أنه اسم جامد لايتصرف، وليســـت لـــه صـــيغ خاصة)"[3]" فهو حر طليق يتكيف مع الظروف، ومن ثمةكان ظرفا.

الظرف تحديد لحادثة زمانية أو مكانية. ومن ثم فهو زيادة على اسميته، فهـــو يوحي بالحدث، ومن ثمة،كان الظرف الزماني هو (ما دل على وقـــت وقـــع فيـــه

---

1 – معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص،581 محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، مط، دار العودة بيروت لبنان، ط،1982م

2 – نفسه، ص،581، باختصار.

3 –مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص،169.

حدث، في مثل: قدمت من سفري ليلا،ـــ أي في الليل ـــ أو ظرف المكان وهو ما دل على مكان وقوع الحدث. في مثل : وقفت أمام منبر الخطيب"[1]" ومن ظـــروف المكان الواردة في كتاب الإمتاع والمؤانسة (بيتٌ، دارٌ، قصرٌ، دكانٌ) وهناك ظروف الزمان المحددة غير المقيسة، جاء منها في الإمتـــاع: (الليـــل، والفجـــر، والنـــهار، والصباح، والظلام) ولما كان الحديث يدورحول ليالي الأنس، فمـــن الطبيعـــي أن يشيع ظرف الزمان أكثر من غيره، ويكون له جوه وأهله وآلاته.

أسماء الآلة

الآلة هي وسيلة الإنجاز والتحقيق لكل عمل، وهـــي والعمـــل يتقـــابلان ويتقاطعان، إذ أن لكل عمل وسيلته، ولكل وسيلة عملها، والعبرة بمن يحقق الهدف المنشود، بأقل جهد، وفي أقل وقت. وهنا يتدخل الظرف الزماني من جديد. ومـــن أسماء الآلة التي وردت في الإمتاع (المصباح، الكأس، العود)"[2]" وللجميـــع دلالاتهـــا المختلفة في المعنى، المجتمعة حول تحقيق الأنس على ضوء المصباح، وإيقاع الأوتـــار، وارتشاف الكؤوس؛ وغالبا ما يحدث هذا في جنح الليل، مع صحبة مـــن النقبـــاء، والبعد عن أعين الرقباء.

ويبين مما سبق، أن التوحيدي لم يكن يحضر مواضيع جلسات، أو ينتقيهـــا، وإنما كانت تحت طلبات الوزير وأوامره، وذلك بحسب ما يقتضيه الموقف والحال؛ ومن ثم، كانت سياقية. ولهذه الرؤية نعقد الفصل الرابع الأخير من هذا البحـــث، تحت عنوان دلالة الأنس في السياق.

---

1 – معجم الشامل في علوم اللغة ومصطلحاتها ص،581.

2 – الإمتاع والمؤانسة،ج.3.

الفصل الرابع

دلالة الانس في السياق

استهلال

سبق الحديث في مدخل هذا البحث عن المجالس الادبيّة، والفنيّة التي كانت تقام في القرن الرّابع هجري، وكيف صار لكل امير مجلس ادباء يانس له، ويسامره كما قدّمت مفهوما للانس والإمتاع لغة واصطلاحا.

وفي الفصل الاوّل درست دلالة الانس في المفردات، وفي الفصل الثاني تناولت دلالة الانس في التراكيب ، وعقدت الفصل الثالث لظاهرة التبدّلات والتحولات المتمثلة في المشتقات، وفي الفصل الرّابع، ساوسع اهتمامي على دراسة دلالة الانس في السّياق، واتعمق في مظاهر الفكاهة، والضحك التي طبعت حياة المجتمعين في تلك المجالس. خاصّة الوزير الذي يستمع لليالي ابي حيان، ويطالبه بذكر الملح، والابيات الشعريّة التي تشرح النفس، وتؤنس القلب، والنّوادر التي تبعث على الضحك والفرح.

إن الضحك طبيعة في الإنسان، والفكاهة استعداد متاصل، وهي من الكلمات التي يصعب على الباحث الوقوف على تحديد مفهوم واضح لها، ولكن يمكن اعتبارها تشمل كل هذه السلوكات: الدعابة، المزاح، التهكم، السخريّة، النكتة والهزل.

وتاتي السخرية في صدارة انواع الفكاهة؛ حيث يقول شوقي ضيف: (...والسخرية ارقى انواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء، وخفة، ومكر، وهي لذلك اداة دقيقة في ايدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم)"[1]"؛ فالسخرية سلوك مفضل لدى رجال السياسة للتهكم والسخرية من منافسيهم، وحتى الكتاب والفلاسفة ينتهجون نفس السلوك الذي يتطلب الذكاء والفطنة.

لقد كان العرب يحبون الضحك، ويهشون للضاحكين فسموا ابنائهم باسماء خاصة كالضحاك، وبسام، وبشر، وجذلان، وفرحان. كما كانوا يمدحون الرجل بانه ضحوك السن، بسام العشيات"[2]" هش الضيوف، وإذا ذموا الرجل قالوا: هو عبوس، وهو كالح"[3]"، وهو قطوب"[4]" وهو شتيم المحيا"[5]" وهو مكفهر"[6]" وهو كريه ومقبض الوجه"[7]"وحامض الوجه، وكانما وجهه بالخل منضوخ.

---

1 -الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص35، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1970 م.

2 -العشيات: كناية عن كرمه، وترحيبه بالضيوف إذا جاؤوا يتعشون عنده وقت العشاء.

3 - كالح: مكشر.

4 -قطوب: زاوٍ ما بين عينيه.

5 -شتيم المحيا: كريه الوجه.

6 -مكفهر: عابس.

7 -مقبض الوجه: مقطب، ينظر الفكاهة في الادب اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص21، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.

ومن معاني الفكاهة في اللغة المزاح، ويقال هذا رجل فكه؛ اي طيب النفس، وفكهم بملح الكلام؛ اي اطرفهم، والاسم الفكيهة والفكاهة"[1]" كما ان المزاح نقيض الجدّ، والفكاهة تعني الهزل والهزالة، وامّا التهكم فهـــو الاســـتخفاف والاســـتهزاء والعبث.

إن الفكاهة هي كل باعث على الضحك من فنون القول؛ لكن هل نضحك من كل امر مثير للضحك بغض النظر عن مصدره وملابساته؟ نقول لا؛ لان الذي يضحكنا لابدّ ان يكون إنسانيا؛ اي من إنسان إلى إنسان، او عن إنسان، علمـــا ان الفلاسفة عرّفوا الإنسان بانّه حيوان ضاحك.

وقد لجا الكتّاب في اسلوبهم المسرحي إلى الفكاهة، فالفوا مسرحيات تبعـــث على الضحك، وصنّفت في خانة المسرح الهزلي، لكن المضحك، عليه ان يتجرّد من انفعالاتنا وعواطفنا كالرّحمة والشفقة مثلا؛ لان الكلمة المضحكة او المنظر المضحك لا يضحكنا إلا إذا كانت نفوسنا خالية، هادئة وغير مبالية، وإلا إذا نظرنا إليه بعين العقل لا بعين العاطفة.

وإذا كنا قد نضحك مما يبعث فينا عاطفة او انفعالا، يتجه مثير الضحك إلى عقولنا اكثر من اتجاهه إلى عواطفنا (امّا النفوس المتاثرة دائما، المتصلة باوتار الحياة؛ فإنّها تهتزّ للحوادث هزّات عاطفيّة، ولذلك لن تعرف الضـــحك ولـــن تفهمـــه)؛

1 - نفسه، ص،08،

فالضّحك له علاقة مع العقل والنّفس حين تنفعل العاطفة أثناء الضحك يثار العقـــل بهزّات عجيبة.

دلالة الفكاهة العربية

إن الخطا السائد في واقعنا هو النظر إلى الفكاهة، كوسيلة للترويح عن النّفس، والإضحاك لكن الفكاهة بجمع دلالات جديدة، بالتامل والدّراسة، واللغة العربيّة غنيّة بالكلمات الدّالة على الضحك، والفكاهة، والسّرور منها"[1]" البشر: طلاقة الوجه، ويقال: بشّر فلان فلانا وابشره، والبشر والبشارة، والرجل بشير ومبشر، والبشاشة فهي: البشّ اي طلاقة الوجه، والإقبال على من احبّك، والضحك إليه، ويقال الرجل بشّ وباشّ، والطرب: خفة تعتري الفرحان ،وقد طرب لكذا، ويقال استطرب إذا طلب الطرب، وهو طرب وطروب ومطراب، والفكاهة والفكيهة: الإطراب بملح الكلام، والدعابة، ورجل فكه وفاكه ومفاكه، والهشّ والهشاشة والهشاش: الارتياح والخفة، والهشيش: من يفرح إذا سئل، وهشش فلان فلانا: فرّحه، والمتهششة: المراة المتحببة إلى زوجها والفرحة؛ وللضحك مراتب وحالات، واوّل مراتبه هي الابتسام والتبسم. ثم الإهلاس ويعني إخفاء الضحك، او الضحك في فتور، والضحك فوق التبسم، او الضحك باستهزاء يسمّى بالهنوف، والهناف، والتهانف، والمهانفة، وقد خصّ به بعضهم ضحك النّساء.

وجاءت الفكاهة للتهذيب والتقويم، والإصلاح بنقد مواقع النّقص، والخطا بجراة هزليّة بعيدا عن الهجاء، وترتبط الفكاهة بالمجتمع لذلك فالإنسان وحده لا يستطيع الضحك مهما يكن مبعث الضحك قويا، فقد يبتسم وحده ولكنّه لا يقهقه، لكن إذا كان في جماعة من النّاس ضحك وقهقه حتّى وإن كان مثير الضحك

1 -القاموس المحيط للفيروزابادي، وفقه اللغة للثعالبي.

اضعف بكثير ممّا لم يضحكه وهو منفرد، فالضحك سلوك اجتماعي في حاجة اشتراك"[1]"

ويؤكد الجاحظ هذا بقوله: (فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة، ولو كان معي من يفهم طيّب ما تكلم به محفوظ النقاش لاتى عليّ الضحك او لقضى عليّ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الاصحاب)"[2]" فالإنسان الوحيد لا يمكن ان يضحك وحتى وإن فعل لا يستسيغ ضحكه، ولو لمحنا شخصا وحيدا يضحك سنقول عنه لاوّل وهلة انّه مجنون.

ووافق برجسون راي الجاحظ؛ فالضّاحك يحتاج إلى متجاوبين معه ليشاركوه الضحك إذ يقول: (لانّنا لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة، والضحك في حاجة إلى صدى)"[3]" حيث ان التّجاوب مع الضّاحك قد يطيل فترة الضحك، ويضفي عليها جزء شذرات من الانس.

ولا يخفى على احد، ان الضحك يزيح عن النّفس البشريّة الهموم التي تحل بها وحسب "سبنسر" فإن الإنسان يستنفذ بالضحك ما يتجمع عنده من طاقة حيوية زائدة، لكن ليس هو الوسيلة الوحيدة إذ هناك وسائل اخرى بسيطة بجعل الضحك بالنسبة لها امرا معقدا.

1- الفكاهة في الادب، اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص09.

2 -نفسه، ص10.

3 - نفسه،ص، س.

وما يثير فينا الضحك حسب "هوبز" لا يخلو عادة من نقص في تركيبـــه، او تشويه يحط من قيمته في نظرنا الشعور الفجـــائي بالاســـتعلاء والســـمو دونـــه، واما"مكدوجل" فابرز فوائد الضحك الجمّة كحدوث تفاعلات نفســـيّة، دمويـــة وإفرازيّة، تساعد على تجديد النشاط الحيوي وتزيل الانقباض النّفسي، واهـــم مـــن ذلك فإن الضحك يغيّر مجرى التفكير، ويحدده بطريقة تمنع الكابة، والملل، ويحـــدث الرّاحة العقليّة، وكثيرا ما يؤدي الضحك مفعول الدواء في المريض"[1]" وعليه، يعتـــبر الضحك علاجا نفسيا، ومنشطا فكريا، وطاقة تفيد الإنسان.

وقد يجري رجل في الشارع فيعثر ويسقط فيضحك المارة، وهو ما ينـــدرج ضمن السلوكات غير الإرادية التي تحدث بغتة ودون تركيز حسب "برجسون" الذي يعتبر ذلك إنذارا يوجهه المجتمع إلى الفرد المتصلب والمصاب بالالية؛ فلا مناص إذن من توجيه إنذار بالحركة او بالإشارة او بالكلمة، وما هذا الإنذار إلا الضحك فنحن نضحك منه ومن امثاله؛ لانهم مصابون بالالية والتّصلب، والمجتمع ينفر من التصلب بانواعه"[2]"

وهناك بعض العيوب الجسدية والنّفسية التي تثير الضحك، فمنظر الاحدب قد يضحك؛ لانّه يبدو رجلا ساءت وقفته، وكان ظهره تعوّد هذا الانحناء، وبرع العرب في تصوير العيوب الجسدية بالمبالغة، والتّضخيم كما في العيوب الخلقية بهدف الإصلاح، واساس التهكم المرح النفسي عند المتكلم وبراعته في تصوير الفكرة تصويرا فكها يبعث على الضحك؛ وجاء على لسان ابن الخلال البصري انه سمع

---

1 -الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص18،

2 - نفسه ، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص،19.

دجاجة المخنّث يقول لاخر: (إنما انت بيت بلا باب، وقدم بلا ساق، واعمى بلا عصى، ونار بلا حطب، ونهر بلا معبر، وحائط بلا سقف)"[1]" بمعنى ان هذا الشخص غير مكتمل الاخلاق، وتبدو دلالات كثيرة تنحصر في عيوب خلقية كالشرّ، والبخل، والاعتماد على الاخر، وحامل الضغينة بنبرة فكاهية.

وعن الضحك قال شوقي ضيف: ان النّاس يضحكون دون ان يعرفوا لمـــاذا يضحكون، وهو ضحك يريح اعصابهم، ويشرح صدورهم، ويقـــوّم اخلاقهـــم، ويشعرهم بشيء من الصلة فيما بينهم، ويجعلهم يحافظون على تقاليدهم، واوضـــاع مجتمعهم، ويربي فيهم ملكة النّقد، ويوقظ فيهم التّنبيه إلى اخطائهم، واغلاطهم"[2]"

وبالإضافة إلى فائدة الضحك النّفسية، له انعكاس إيجابي على العقل من حيث تنشيطه ملكة النّقد، وإبداء الرّاي بطريقة هزلية، وهناك حادثة واقعية تروي حكاية سيّدة عاقر، كانت تتردد على عيادة احد الاطباء النّفسانيين، وكانت لفرط باســـها وقنوطها قاب قوسين او ادنى من المرض العقلي، ولم ينجح الطبيب في علاجها عن طريق التّحليل النّفسي، فاتّفق معها على ان تروي له قصّة مضحكة كلما جـــاءت للزيارة، وكان تنفيذ هذه الخطة عسيرا في البداية، ولكن السيّدة اخذت تجد فيهـــا شيئا من اللذة، وقبل ان ينتهي علاج تلك المراة على هذه الطريقة، كانت المريضة قد ولعت بجميع الحكايات، وبرعت في روايتها، وهكذا ردّت الفكاهة إليها بشاشـــتها وسعادتها"[3]"

---

1 -الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص59.

2- الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوّض ابو عيسى، ص، 20

3 - نفسه،ص، 22.

وإن كان الضحك يلقي على الواقع ستار اللاواقعيّة، ويرفع عن هموم الحياة ما فيها من جديّة، فإنّه يهوّن على الإنسان عبء الحاضر، ويعده لمواجهـــة المســـتقبل بروح البشر، والترحاب، وللضّحكة مفعول سحري في شفاء النفس العليلة، والمثخنة بالجراح.

الفكاهة عند السلف

كان الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم" يضحك حتى تبدو نواجذه، ومن مزاحه"صلى الله عليه وسلم"قوله لامراة من الانصار: الحقي زوجك ففـــي عينيـــه بياض، فنال منها الرّعب وسعت نحو زوجها فقال لها: ماذا دهاك؟ فقالت: قـــال لي رسول الله "صلى الله عليه وسلم": إن في عينيك بياضا، فقال: إن في عيني بياضا لا يسوء"[1] فقد كان الرّسول"صلى الله عليه وسلم" من افكه الناس، ويجب الإشارة هنا إلى ان مزاح النبي"صلى الله عليه وسلم" كان مما يليق بجلالة النبوّة وقدسية الرّسالة، وكان لايقول إلا الحق. ولذلك احتذى صحابته حذوه، وتعلموا منـــه؛ باعتبـــاره القدوة والهدى، والنور لامته على مرّ الاجيال.

واشتهر علي بن ابي طالب بدعابته وحبّه للفكاهة وهو الذي قال: (والنّفس مؤثرة للهوى، اخذة بالهوينى، جانحة إلى اللهو، طالبة للرّاحة، فإن اكرهتها انضيتها، وإن اهملتها ارديتها"[2]" كما كان ابو هريرة كثير المزاح والدعابة، وكان محمـــد بـــن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه، ومن الفقهاء والشعراء والفرسان ورد في الاثر ابو الاسود الدؤلي، وابو دلامة، وعبيد الله بن محمد المشهور بابن ابي عتيق، والاعمش

1 -الفكاهة في الادب ، اصولها وانواعها، احمد محمد الحوفي، ص25.

2 - نفسه، ص،26

وهو ابو محمد بن سليمان بن مهران الاسدي، والاصمعي، والحسن بـــن وهـــب، وهشام بن عبد الملك.

الامراء يتفاكهون

لقد اهتمّ الامراء والحكماء، بالمضحكين الذين يفاكهون في المجالس، حيـــث يذكر جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي: ان الامـــراء كـــانوا يجالســـون المضحكين، ويقطعون معهم اشواطا من اوقاتهم، ويقضون معهم اوقاتا مرحـــة، إذ اشتهر من هؤلاء اشعب في عهد بني اميّة، والخليع الدّمشقي في ايّام الرّشيد، وابـــو العبر في زمن المتوكل... ثم يذكر في اعقاب ذلك ان بعض الخلفاء كان إذا استخفهم الطرب، كلف هؤلاء المضحكين ما لا يطاق من الوان العذاب؛ فقد كان المتوكـــل يتخذ ابا العبر سخريا له، يرميه بالمنجنيق في الماء؛ ثم يطرح الشبكة فيخـــرج كمـــا يخرج السمك؛ ويضحك من ذلك"[1]"ويطارد النّاس الهموم بدوائها النّاجح المتمثل في الفكاهة والضحك. وقد صدق المتنبي حين قال:

والهمّ يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم"[2]"

ومن هنا يتبيّن مدى التاثير السلبي للهموم على نفسيّة الإنسان، فهي حسب الشاعر المتنبي، تنحف الجسم، وتشيب الصبي. كما قال ابو تمام في عمرو بن طوق التغلبي:

الجدّ شيمته وفيه فكاهة طورا ولا جدّ لمن لم يلعب"[3]"

فحتى الجدّ يستوجب توافره على ما يخفف عن القلب، ويرفه عنه.

وقال ابو الفتح البستي:

---

1 -يراجع الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص49.

2 -نفسه.

3 - نفسه، ص،50.

افد طبعك المكدود بالهمّ راحة   قليلا، وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا اعطيته المزح فليكن   بمقدار ما تعطي الطعام من الملح""[1]

ويعني هنا، ان للمزاح حدودا، وبمجرد تجاوز الحد يتحـــوّل إلى إســـفاف. ولذلك، كان من الواجب احترام المقدار في المزاح، مثل ذلك مثل الملح مع الطعام. إن زاد عليه افسده. وكل شيئ تجاوز حده انقلب إلى ضده.

التهكم بالبخل

وقد جاء في الليلة الثامنة عشر من كتاب الإمتاع والمؤانسة ان الرشيد قـــال للجماز: (كيف هي مائدة محمد بن يحيى، ويعني البرمكي، قـــال: شـــبر في شـــبر، وصحفته من قشر الخشخاش، وبين الرّغيف والرغيف مضرب كرة، وبـــين اللـــون واللون فترة نبيّ، قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون، فضحك وقال: لحـــاك الله من رجل)"[2]"وورد التهكم هنا في وصفه للمائدة بالصغر، والضيق، وفي وصـــفه للصحفة؛ اي الصحن بالرداءة والخشونة والصغر، وفي وصـــفه للرغيـــف بالقليـــل والمتباعد،كما ان اصناف الطعام يجيء على بطئ، وشبهها بفترة نبيّ لطول الانتظار، والترقب، وعندما ساله الرّشيد عمّن يحضر هذه المائدة، اجابـــه بـــانهم الملائكـــة الموكلون بعدّ الذنوب والحسنات، ولا يحضرها احد من النّـــاس، ولا يشـــهدها إلا الملائكة الذين لا ياكلون، ولا يشربون، وهذا تهكم على شدّة بخل البرمكي.

---

1 -الفكاهة في الادب العربي، فتحي محمد معوض ابو عيسى، ص50/51.

2 -الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص58.

والتهكم لون من السخرية، يراد به نسبة عيب إلى شخص، او تفخيم عيب في شخص، وسيلة إلى تهذيبه، وإصلاحه ليخاف المعني ذلك العيب إن لم يكن فيه، وليبرا منه كله او بعضه إن كان فيه، فهو نوع من الزجر والردع برغبة الإصلاح، وهو وسيلة للسخرية من الحمقى، والاشرار، والبخلاء؛ لان سخريتنا بهم وضحكاتنا بهم تخفف من غيظنا، وغضبنا عليهم.

واما الفرق بين التهكم والهجاء، فهو ان الهجاء صادر عن نفس واحدة، غاضبة وحاقدة، ويصدر التهكم عن نفس ساخرة ناقدة، وغير حاقدة، والغرض من الهجاء التجريح والتشهير، بينما الغرض من التهكم التهذيب والتقويم"[1] فالفرق بينهما جلي.

السخرية من السلوك

سخر التوحيدي متهكما على الصاحب بن عباد في قوله: (...وهو في كل ذلك يتشاكى ويتحايل، ويلوي شدقه، ويبتلع ريقه، ويرد كالاخذ، وياخذ كالمتمنع، ويغضب في عرض الرضى، ويرضى في لبوس الغضب، ويتهالك ويتمالك، ويتقابل ويتمايل، ويحاكي المومسات...)"[2]" فالتوحيدي هنا يعبر بسخرية على سلوكات وتصرفات الصاحب، واصفا إياه بالمتحايل حتى في شكواه، كثير الانفعال، وسريع الغضب والهدوء في الوقت نفسه، يزجر في الاخر ثم يتراجع معترفا بخطئه، وفي المجلس يقعد مستويا، ومستقيما لا يميل إلى ناحية ما، وهو كثير الكلام مع المومسات؛ اي العاهرات، وهذا التهكم الساخر يدفع بالسامع إلى الضحك من وصف التوحيدي لحركات الصاحب بن عباد المماثلة لالة تتحرك ميكانيكيا.

---

1 -يراجع الفكاهة في الادب اصولها وانواعها ، ص177.

2 -الإمتاع والمؤانسة،ج01، ص59.

وفي السياق ذاته حدثنا التوحيدي عن شاب زاحم شيخا في طريق، ثم سخر منه قائلا: (كم ثمن هذا القوس؟ فقال الشيخ: يا بني إن طال عمرك فإنك مشتريه بلا ثمن)"[1]" وهنا سخر الشاب من الانحناء المميز للشيخ لفرط الكبر، وتهكم عليه واصفا شكله بالقوس، وسائلا إياه عن ثمنه، لكنّ الشيخ وبتروي كان بارعا وحكيمـــا في إجابته التي تؤكد ان الشاب سيصل إلى هذه المرحلة، إن عاش عتيّـــا، وسيشـــتري القوس المنحني مجانا.

ومن الطرف التي وردت في كتاب الإمتاع والمؤانسة ان اعرابيا سائل قومـا، فقال لاحدهم: (ما اسمك؟ قال: مانع، وقال الاخر: ما اسمك؟ قال: محـــرز، وقـــال للآخر: ما اسمك؟ قال: حافظ، قال: قبحكم الله ما اظن الاقفال إلا من اسمائكم)"[2]" فقد عبّر عنهم كانهم الاقفال؛ ساخرا من اهل المنع والشح.

روى التوحيدي في موضع اخر عن ابن سيابة من انّه حضر جنازة بمصـــر، فقال له بعض القبط: يا كهل من المتوفي (بكسر الفاء) فقال: الله عزّ وجـــل، فمـــا كان منهم سوى ان انهالوا عليه ضربا، حتى كاد يموت"[3]" ولعل الطريـــف في هـــذه القصة، هو ان ابن سيابة تعرّض لحملة تاديبيّة بسبب الحركة المتمثلة في الكسرة؛ اي الفاء المكسورة، والفاء المفتوحة لما اقدموا على فعلتهم، إذ ان المتوفي هو الخالق الذي

---

1 -البصائر والدخائر لابي حيان التوحيدي، تحقيق ونشر احمد امين، والسيد احمد صقر، لجنة التاليف والترجمة، والنشر1953م.

2 -الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص57.

3 -البصائر والدخائر،ص151.

يصطفي إلى جواره من شاء من عباده، والمتوفى(بفتح الفاء) هو المخلوق الذي يوافيه الاجل. لكنّ صاحبنا على ما يبدو قد تعرض لضرب مبرح كاد ان يهلكه، وتصنّف هذه الحادثة ضمن النكتات اللفظيّة.

شغف ابو حيان بمؤلفات الجاحظ، وتصانيفه فواكب على دراستها، ويكفي انه الف كتابا موسوما بـــ (تقريظ الجاحظ)، وامام فرط تاثره به لقب بالجـــاحظ الثاني.

وقد احتلت النكتة العقليّة من ادبه-حسب النقاد- مكانا ملحوظا يشهد لـه بالبراعة في هذا اللون المتمثل في الهزل والفكاهة، وهذا لكونه فيلسوفا، ولو تاملنا ما اورده عن (رجل ضرير جاب شوارع اصفهان يسال الناس، واعطاه مـــرّة إنســـان رغيفا فدعا له قائلا: احسن الله إليك وبارك عليك، وجزاك خيرا، وردّ غربتـــك، فقال له الرجل: ولِم ذكرت الغربة في دعائك، وما علمك بالغربة؟ فقـــال: الان لي هاهنا عشرون سنة، ما ناولني احد رغيفا صحيحا)"[1]" فالتّوحيدي هنا جعل من هذا السائل الذي يقصد الناس فيلسوفا، فيغتنم الفرصة المناسبة ليعبر عن سخطه، ويندد بتصرفات من يعاشرهم، شاكرا الرجل على سخائه وكرمه، وبتعبير ساخر يـــتلفظ الجدّ.

ويؤكد صاحب الفكاهة في الادب العربي (ان التّوحيديساير استاذه الجاحظ في الحديث عن البخلاء، وتاليف النّوادر عنهم، وفي الوقت نفسه معترفا بسبق استاذه في هذا المجال)"[2]" ويكشف عن سبب خوضه هذا الغمار قائلا: (إن الجاحظ قد اتى

1 -الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص28.

2 -الفكاهة في الادب العربي، ص223.

على جمهور هذا الباب، إلا ما شذ عنه مما لم يقع إليه، فإن العالم وإن كان بارعـــا، ليس يجوز ان يظن به، انه قد احاط بكل باب، او بالباب الواحد إلى اخره على انه حدث منذ عهد الجاحظ إلى وقتنا، هذه امور وامور، وهنات وهنـــات، وغرائـــب وعجائب؛ لان النّاس يكتسبون على راس كل مائة سنة عادة جديدة)"[1]".

نوادر اهل الشراهة

نقل التوحيدي الكثير من نوادر الطفيليين، واهل الشراهة في كتاب الإمتـــاع والمؤانسة، ويسرد لنا قصة طفيلي شره دخل على قوم يستانسون بالغناء فقال لهـــم: (والله ما اجد شيئا من المتعة فيما انتم فيه؟ فقال له احدهم: قصدت إلى ارق شيء خلقه الله، والينه على الاذن والقلب، واظهره للسرور والفرح، وانفاه للهمّ والحزن، فذممته؟ فاجاب الرجل: امّا انا فالطعام الرقيق اعجب إلي من الغناء وجعـــل يـــذم الغناء، فقدموا له من الطعام ما صرفه عن الانشغال بذم الغناء)"[2]"

وهنا كان تقديم الطعام للرجل الشره وسيلة للكف عن ذم الغناء، والتفـــرغ للاكل، وينطبق عليه المثل الشعبي القائل: املا له فمه ينسى امّه. وحدثنا عن رجـــل كان ياكل بالعين والفم واليد والرّاس والرّجل، حتى لو سالته عن اسمه لما ذكره، ولو طلع ولده الغائب لما عرفه، وانشد:

يلعب بالخمسة في قصعة   لِعب اخي الشطرنج بالشاه.

---

1 -الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص03.

2 -نفسه ،ج،3، ص،80.

والخمسة هنا هي اصابع اليد. ومن اطرف هذه النوادر ما ورد على لسان اعرابي، يعرّف الشبع تعريفا لطيفا حيث قال: (..ما وجدت العين، وامتدت إليه اليد، ودار عليه الضرس، واساغه الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوست منه الاضلاع، والتوت عليه المصارين، وخيف منه الموت)"[1]" فقد تم وصف الشبع بتراكيب موضحة للمعنى الحقيقي له، فالشبع يمر بمراحل ليتحقق عندما تلمح العين الاكل مرورا بالمضغ، وصولا إلى البلع، والرسوّ في المعدة.

الحب في المعدة

يحكي التوحيدي في هذا الصدد قصة الغرام التي جمعت بين رجل وجارية، كانت عند قوم يتميزون ببسطة العيش، وكان الرجل كلما اتاه بعض الضيوف، ارسل إليها ان تمده ا يكفيهم، فتنفذ رغبته، وتلبي كل طلباته، وتمده بما طلب، وحدث مرة ان كتب لها (جعلت فداك عندي اليوم اصحابي، وقد اشتهيت سكباجة)"[2]" بقرية او رؤوسا سمانا، فاحب ان توجهي إلينا بما يكفينا ودستجة"[3]" من نبيذ لنتغذى، ومشرب على ذكرك، فلمّا وصلتها الرسالة، بعثت إليه ما طلب، ثم ارسل إليها يوما اخر: (فدتك نفسي، إخواني مجتمعون عندي، وقد اشتهيت قليّة جزوريّة فوجهي بها إلي، وما يكفينا من النبيذ والنقل، ليعرفوا منزلتي عندك، فوجهت إليه بكل ما سال، ثم كتب إليها يوما اخر: (جعلت فداك، قد اشتهيت انا واصحابي رؤوسا سمانا، فاحبّ ان توجهي إلينا بما يكفينا، ومن النبيذ بما يروينا،

---

1 - الإمتاع والمؤانسة ،ج،3، ص81.

2 -سكباجة: مرق يصنع من اللحم والخل/عن الإمتاع.

3 -دستجة: إناء كبير من زجاج، وبالفارسية يسمى دستة/عن الإمتاع.

فكتبت الجارية عند ذلك: إني رايت الحب يكون في القلب، وحبك هذا ما تجاوز المعدة، وكتبت اسفل الرقعة:

عذيري من حبيب جا ءنا في زمـن الشدة
وكان الحب في القلب فصار الحب في المعدة"[1]"

والطريف في هذه القصة الغرامية العجيبة، ان الجارية ضجرت من كثرة طلبات حبيبها فعبرت عن ذلك بإنشادها الساخر، وانتقلت فجاة من امور النفس إلى امور البدن، ومن سمو الروح إلى مادية الجسد، وكان المعدة قد احتلت مكان القلب، وهنا يوجد تناقض يلمس من خلال السياق، حيث تكمن الطرافة في تغيير مكان الشعور بالحب، وتزحزحه من القلب نحو المعدة.

الحاكم والمطبخ

لم ينس ابو حيان من خلال حديثه عن الشراهة، ان يشرك الحيوان ايضا في حب الطعام حيث يروي على لسان اعرابي انه سمع دابة تعتلف في جوف الليل فقال: (إني لاراك تسهرين في مالي والناس نيام، والله لا تصبحين عندي وباعها)"[2]" ويبدو ان هذا الاعرابي به سمة من البخل، فخشي على علفه من النفاذ، ولذلك اقسم على بيع دابته.

1 -الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص08/09.

2 - نفسه ،ج03، ص33.

وللشبع دور إيجابي في قضاء حوائج الناس، حيث يحكي عن مسلم بن قتيبة، انه كان لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطعام الطيب، ويروى من الماء البارد ويقول: (إن الجائع ضيق الصدر، فقير النفس، والشبعان واسع الصدر، غني النفس)"[1]" فالإنسان الذي اكل وشرب حتى ارتوى يكون اشرح نفسا من الجائع الذابل والمهموم.

وفي جلسة اخرى، سئل اعرابي إن اصبح يوما حاكما ما صنعه، فاجاب بسرعة فاتحا الباب نحو متعة الاكل والطهي حيث قال: (كنت استكفي شريف كل قوم ناحيته ثم اخلو بالمطبخ، فامر الطهاة فيعظمون الثريدة، ويكثرون العراق، فابدا اكل لقما ثم اذن للناس، فايّ ضياع يكون بعد هذا)"[2]" وهنا يرى الاعرابي: ان الحكم العادل لا يتحقق إلا بإشباع الرعيّة من كل انواع الاكل اللذيذ، وكان البطن اسبق من كل شيء عنده.

وقال الاصمعي ان ابن هبيرة قال: تعجيل الغذاء يزيد في المروءة، ويطيب النكهة، ويعين على قضاء الحاجة. ويروي التوحيدي عن قول بعض العرب: (اطيب مضغة اكلها الناس صيحانية مصلبة)"[3]" والصيحاني تمر المدينة، اسود اللون، وصلب المضغ، وامّا المصلب هو الذي خلط بالصليب، وهو الودك، وهذا مثل يضرب للمتلائمين والمتوافقين.

---

1 - الإمتاع والمؤانسة ،ج03، ص08/09.

2 - نفسه ، ج 03، ص35.

3 -نفسه،ج، س، ص39.

حدود الشبع

حوت الليلة الواحد والثلاثون احاديث طريفة عن حدود الشبع، والسؤال المطروح في المجلس: ما حدّ الشبع؟"[1]" وكل المجيبين، وباختلاف مهنهم ورتبهم كانوا حريصين على ضرورة تحقق اللذة التي تبعث على الرّاحة إلا في رد الصوفي الذي قال: ما نشّط على اداء الفرائض، وثبّط على إقامة النّوافل. بينما كان راي الطبيب: ما عدّل الطبيعة، وحفظ المزاج، وابقى شهوة لما بعد، وجاء رد الملاح: ان الشبع لا يتحقق إلا إذا تمل الاكل من شدة النهم، فلا يفرق بين السماء والارض، ولا الطول من العرض، ولا النافلة من الفرض، وهذا بسبب الجهد الكبير المبذول في تناول الطعام، وكان الاكل معركة شرسة، يحدث فيها كسر وقطع. ومن خلال سياق التركيب، نلمس انسا ظريفا خفيفا على الروح.

واما الاعرابي فقال: (اما عندنا في البادية فما وجدت العين، وامتدت إليه اليد، ودار عليه الضرس، واساغه الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوست منه الاضلاع، والتوت عليه المصارين..) وبتواضع اجاب الاعرابي: ان الشبع يتحقق بما هو متوافر، وموجود من الطعام المار عبر الضرس ثم الحلق فالبطن، وهو بحدة المعدة في فترة الجوع.

وجاءت اراء البعض باعثة على الضحك، وتصنف ضمن النوادر، مثلما قال سمرقندي: (الشبع إذا جحظت عيناك، وبكم لسانك، وثقلت حركتك، وارجحنّ بدنك، وزال عقلك، فانت في اوائل الشبع، وحين سئل: إذا كان هذا اوله فما اخره؟ قال: ان تنشقّ نصفين؛ اي بمعنى ان الشبع يقسم الجسم إلى شطرين: شطر

1 - الإمتاع والمؤانسة ، ج، س، ص20-23.

علوي وشطر سفلي.وقال يمني: الشبع ان يحشى حتى يخشى. وقال تركي: الشبع ان تاكل حتى تدنو من الموت. واما سمويه القاص فيعتبر ان من مات بالتخمة فهو شهيد، وهو ربما يقصد به شهيد البطن.

وقال اخر: (احب ان اكل ما مشى حماري من المترل إلى المترل)، والشبع عند الجندي هو (ما شدّ العضد،واحمى الظهر، وادر الوريد، وزاد في الشجاعة) ووصف الجمّال الجوع بالعذاب؛ فالجوع قد يؤدي إلى الكفر فالعذاب، لكن الطعام يرحم صاحبه، وكلما كانت الرحمة اكثر، كان العبد إلى الله اقرب. وقد استحسن الوزير هذه الاحاديث للاثر الذي تركته في نفسه، ولاحتوائها على اقوال مثيرة داعية إلى الضحك، واسرت في جنباته الراحة.

ملح الانس والتانس

اعتاد التوحيدي في كل ليلة من ليالي الإمتاع والمؤانسة، تقديم ملحة الوداع لمجلس الوزير تلبية لطلبه، حيث كان يقول له: (هات ملحة الوداع) وقد تكون عادة نوادر او ابياتا شعرية، مثلما حدث في الليلة الثانية عشرة، إذ قال الوزير: (انشدني ابياتا ودعني بها، ولتكن من سراة"[1]" نجد ليشتم منها ريح الشيح والقيصوم) فانشده التوحيدي ما قاله اعرابي قديم:

مطرنا فلما روينا تهادرت شقائق منها رائب وحليب
ورامت رجال من رجال ظلامة وعادت دحول بيننا وذنوب
ونصّت ركاب للصبا فتروحت لهنّ بما هاج الحبيب حبيب"[2]".

---

1 -سراة: سرارة، عن الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص169.

2 - نفسه، ج01، ص196/197.

فلما اخصبت الارض، وهطل المطر، تنمّر فريق من الرجال لاخر، وتهيئـوا للمحاربة، وكنى الشاعر هنا بتهادر الشقائق: جمع شقشقة وهـي جـرة الـبعير، وتهادرت اي تساقطت عن الخصومة بين القوم، وتنمر بعضهم لـبعض، ونصّـت ركاب الصبا؛ اي رفعت اعناقها لريح الصبا تستروحها.

واطلقت على هذه الملح والنوادر الختامية لكل ليلة بالملح التوحيدية، منـها الملحة التي ذكرها التوحيدي في ختام الليلة الاولى بعدما قال له الوزير: (هات ملحة الوداع حتى نفترق عنها، فقال التوحيدي: حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية قـال: رايت جحظة قد دعا بنّاء ليبني له حائطا فحضر، فلما امسى اقتضى البناء الاجـرة فتماسكا؛ اي تشاحنا في الاجرة، بعدما طلب البناء عشرين درهما، وهو لم يعمـل سوى نصف يوم، فقال البناء:..إني قد بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة، وبينما همـا كذلك سقط الحائط فقال جحظة: لا، ولكن كان يبقى إلى ان تستوفي اجرتك)"[1]" فضحك الوزير كثيرا؛ لان مائة سنة التي قصدها البناء لم تستوفي دقائق، وهذا مـا اضحك الوزير، وبعث الفرح في نفسه.

1 - عن الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص28،

الظبي الاعفر

ختم التوحيدي في الليلة السادسة عشر الجزء الاوّل من كتاب الإمتاع والمؤانسة بملحة الظبي الاعفر، فقال على لسان يعقوب صاحب(إصلاح المنطق): دخل اعرابي الحمام فزلق فانشج، فانشد يقول:

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة — *فرحت من الحمام غير مطهر*
ترديت منه (شاريا) شجَّ مفرقي — *بفلسين إني بئس ما كان متجري*
وما يحسن الاعراب في السوق مشية — *فكيف ببيت من رخام ومرمر*
يقول لي الانباط إذ انا نازل — به لا بظبي *بالصريمة اع*فر"[1]

فالاعرابي دخل الحمام ليستحم، لكنه خرج منه مشقوق الجبين ودافعا فلسين، وختم قوله بشماتة الانباط به الذين يريدون له ان يصيبه مكروه، دون إصابة الظبي الاعفر، وهو مثل يضرب في الشماتة والاستهزاء بالرجل بتفضيل الظبي الاعفر عليه.

وفي نادرة اخرى قال معاوية لاعرابي: (ما تجارتك؟ قال: ابيع الإبل، قال: اما علمت ان افواهها حرب"[2] وجلودها جرب، وبعرها حطب، وتاكل الذهب)"[3] هذه الملحة الظريفة تعني ان بافواه الإبل كلب، وجلودها ذات جرب، وبعرها حطب، او ما يعرف في جهتنا الغربية بـ (الوقيد) وبه توقد النار، وتتجمر كما ان الإبل تلتهم الذهب، وربما يشبه الكلا بالذهب.

1 -الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص226.

2 -حرب: اي ذات حرب وهو والكلب واحد وزنا ومعنى.

3 -الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص60.

نوادر المجانين

اعتمد التوحيدي في لياليه على ذكر نوادر المجانين؛ لإضفاء المتعة على المجلس، وجاء في الليلة الواحد والثلاثين ما يبعث على الضحك والاستئناس من حديث جرى بين المجانين، فاضحك الوزير حيث حكى في معرض حديث ابي بكر"[1]" قال كتب مجنون إلى مجنون: (بسم الله الرّحمان الرحيم، حفظك الله، وابقاك الله، كتبت إليك ودجلة تطغى، وسفن الموصل هاهي، وما يزداد الصبيان إلا شرا، ولا الحجارة إلا كثرة، فإياك والمرق فإنه شر طعام في الدنيا، ولا تبت إلا وعند راسك حجر او حجران، فإن الله يقول: واعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

قال وكتب مجنون اخر إلى مجنون **مثله**: (وهب الله لي جميع المكاره فيك، كتابي إليك من الكوفة حقا حقا حقا، اقلامي تخط، والموت عندنا كثير، إلا انه سليم والحمد لله، احببت ليعرفه إعلامكم ذلك إن شاء الله)، وكان هذا المجنون تنبا بما سيحدث للعراق، وما سيتغير ببلاد الرافدين قال: (واقلامي تخط والموت عندنا كثير) لكن الجملة الاستثنائية-إلا انه سليم والحمد لله- معناها يبعث على الضحك، فليس هناك موت سليم، وموت غير سليم، ونستشف هنا سخرية بارعة من الموت.

وكتب مجنون اخر: (ابقاك الله من النار، وسوء الحساب، وتفديك نفسي موفقا إن شاء الله)"[2]" **فهذا** المجنون يخاف الله، وسوء حسابه لعباده، ويدعو لاحدهم بان يقيه الله من نار جهنم اثناء يوم الحساب بل ونفسه فداء له، وهذا ما نلمسه عند العقلاء فحقا: (خذ الحكمة من افواه المجانين)، وقد استانس الوزير بهذه النوادر

---

1 - الإمتاع والمؤانسة ،ج02، ص203/204.

2 - **نفسه،** ج 02، ص204.

حيث استطرف حديث المجانين، وضحك حتى استلقى قائلا: (ما الذي يبلغ بنا هذا الاستطراف إذا سمعنا بحديث المجانين؟)"[1]" فكان التوحيدي ميالا إلى الهزل والفكاهة للترويح عن الوزير، ومجلسه، وجعل الليالي التي كانت بجمعهم ليال للمتعة والاستئناس لغويا وحسيا.

البطون الانانية

ومن نوادر اهل الشراهة في الطعام، ما ورد عن ابي الحسن انه قال: (كانت لي ابنة بجلس معي على المائدة، فتبرز كفا كانها طلعة في ذراع كانها جمارة، فلا تقع عينها على اكلة نفيسة إلا خصتني بها فزوجتها، وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز لي كفا كانها كرنافة، في ذراع كانها كربة، فوالله إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها)"[2]" الرجل يعاني من قلة حصته في الاكل وبعدما تخلص من ابنته بتزويجها، بعدما كانت تحرمه من اللقمة الهنيئة اللذيذة، اصطدم بابنه الذي كما وصفه ابوه بانه شره، وله كف تشبه الكرنافة؛ وهي اصول الكرب التي تقع في جذع النخلة بعد قطع السعف، وذراعه كانها كربة؛ وهي اصول السعف العراض التي تقطع منها، فالاب اناني في الاكل ويفضل الجلوس لوحده على المائدة حتى يشعر بالامان. وفي صورة اخرى يقول معن بن اوس يصف هدير قدر:

إذا التطمت امواجها فكانها — عوائد دهم في المحلة قيل
إذا ما انتحاها المرملون رايتها — لو شك قراها وهي بالجزل تشعل
سمعت لها لغطا إذا ما تغطمطت — كهدر الجمال رزما حين بخفل"[3]".

1 - الإمتاع والمؤانسة ،ج02، ص203/204.

2 - نفسه ، ج،03،ص،14

3 - نفسه، ج، 03، ص17.

ويريد القول هنا ان غليان القدر، يحدث حين تلتطم الامواج؛ اي اضطراب كل محتوى هذه القدر، ويريد بقوله(عوائد دهم) خيلا سودا حديثات النتاج، **فشبه** القدور بتلك الخيل التي معها اولادها، وعوائذ ويروى عواتب، وهي التي تمشي على ثلاثة قوائم، وعقرت رابعتها، فشبه القدر بها لانها توضع على اثافي ثلاث، ويقصد بقوله المرملون الذين نفذت ازوادهم، وامّا اللغط فهو النشيش في مرحلة الغليان، محدثة اصواتا كهور الجمال، والغطمطة هي إحداث اصوات تشبه تلك الصادرة من حلوق الجمال، دون فتح افواهها.

واضفت حلاوة وصف القدر وهي تغلي، انسا على الوزير الذي قال التوحيدي في ختام تلك الليلة الواحد والثلاثين: (ما احسن ما اجتمع من هذه الاحاديث، هل بقي منها شيء؟ فردّ عليه التوحيدي: بقي منها جزء اخر، فقال: دعه لليلة اخرى، وهات ملحة الوداع)"[1]" فالوزير يؤكد لابي حيان استحسانه لما سمع، حتى انه يلزمه بمواصلة بقية الاحاديث في ليلة اخرى، لتتبيّن ان هناك استمرارية نابعة من رضى الوزير على التوحيدي فيما يحكيه في المجلس.

1 - - الإمتاع والمؤانسة، ج 03، ص23.

نتائج البحث

بعد انتهائنا من هذا البحث ووضعناه امامنا كاملا مكتملا بحسب ما توصلنا إليه فيه،وبعد إعمال إعادة النظر في بنائه والتفكير في ابعاده واهدافه وما تحقق لنا من كل ماتصورناه قبل البدء فيه، ظهرلنا اننا قطعنا في العمل المتصور اشواطا وبقيت خطوات، والكمال .

وعندما وقفنا بعدكل ذلك نمعن النظر في ما توصلنا إليه من نتائج بدا لنا ذلك في شبه خلاصات لمواقف واعمال واعلام تعاملنا معها خلال البحث وتركت اثرها فينا وذلك ما يمكن جمعه مركزا في النقاط الاتية:

- لقد ابرز التوحيدي مواطن الجمال في الكلام الذي يخلق الانس في القلب والعقل باستعمال الالفاظ الرشيقة السهلة الحلوة، و لم تنفصل المتعة عن الانس، فكانتا مفردتان مترادفتين تسيران جنبا إلى جنب.

- ظهرت في حديث ابي حيان خصائص نفسية وفكرية تراعي الاخذ بقلب المتلقي، والقلب يرمز إلى الوجدان الإنساني لكي يخاطب عقله ايضا.

- لقد اكد التوحيدي على دور العقل في عملية الخلق والإبداع الفني بعامة، والادبي بخاصة.

- كما تميز التوحيدي عن بعض معاصريه في تحقيق المتعة بإتقان الصـــنعة التي تعني عنده مشاركة العقل والذوق معا في عملية الإبداع الفني.

- كان التوحيدي خفيف الروح، فكه المجلس، طيب النكتة، مبدع النوادر العاكسة للحياة الاجتماعية.

- حرص ابو حيان في عمله،على تحقيق العنصر الإيقاعي والموسيقي المثير للقلب والعقل؛ مع التانق في استعمال السجع وتوثيق الربط بين العبارات.

- كشف التوحيدي في جلساته و مع جلسائه، عن اهمية الحوار الجماعي، وعقد مجالس العلم المؤنسة التي نفتقدها في حاضر زماننا.

- التزم التوحيدي بمقاييس الإبداع، وإبراز خصائص فن القول، من لفظ حسن، واسترسال في الحديث ذي الإيقاع المؤثر على المسامع، مما يولـــد المتعة والتالف والانس بين المحدثين والمحدثين.

- عمل التوحيدي، على الإكثار من المحســـنات اللفظيـــة، وتوظيـــف التشبيهات التمثيلية، في خلق جو من الصور البديعية والتصورات الرفيعة.

- حدد التوحيدي الاسس العامة لنظرية النظم التي قال بها الجرجاني مـــن بعده التي تقوم على اساس المعرفة العميقة بعلم النحو، والتوظيف اللائق به باختيار مواضعه.

- كما توسع ابو حيان، في إدخال القاب التعظيم على اسمـــاء الخلفـــاء والامراء والعظماء من جالسهم باسماء مفاعيل مؤنسة، فصار ذلك ســـنة عند غيره.

- استطاع التوحيدي ان يوحّد بين مختلف توجهات البلغاء وذلك مـــن خلال ليالي انس جمعت بين الجد والهزل حيث عقد مصالحة بين العقل و القلب.

- اوجد التوحيدي باسلوبه الفكاهي علاقات تفاعلية جمعت بين انتشار النكت السياسية والحريات السياسية، فكان ذلك حيلة منه لمقاومة الظلم وانتهاك حرية الراي والتعبير.

- لقد ارسى التوحيدي بجلساته ولياليه نظريات في تفسير الضحك تقوم على الجمع بين ظاهر العبارة وعمق الذكاء، و قوة ناشئة بين تفاعل قوتي العقل والغريزة في الإنسان.

ـــ *ابو حيان التوحيدي. اديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء.*

زكريا إبراهيم، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتاليف، والترجمة.د.ت.

ـ *ابو حيان التوحيدي*

إبراهيم الكيلاني، مجموعة نوابغ الفكر العربي، رقم 21، دار المعارف، القاهرة، 1957م.

ـــ *الإحكام في اصول الاحكام*

سيف الدين الامدي، إعداد، جماعي، مط، دار الكتب العلمية بيروت، ط، 1، 1983م.

ـــ *الإيضاح في علوم البلاغة.*

الخطيب القزويني إعداد عبد المنعم خفاجي، مط، دار الكتاب اللبناني، ط، 4، 1975م.

ـ *الإيضاح في علل النحو لابي القاسم عبد الـــرحمن بـــن إســـحاق الزجاجي*

قيق *مازن المبارك، ط، 2، بيروت، لبنان، 1973.*

ـــ *الإمتاع والمؤانسة، ابو حيان التوحيدي*

احمد امين، واحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

ـــ *الإمتاع والمؤانسة، ابو حيان التوحيدي*

إعداد مختار نويوات، مط، الجزائر، 1989م.

ـ *الإنصاف في مسائل الخلاف، بين البصريين والكوفيين*

كمال الدين ابو البركات الانباري، إعداد، محمد محيي الدين عبـــد الحميد، المطبعة التجارية الكبرى بمصر، ط، 1:د.ت.

ـــ *اخبار ابي نواس، لابي هفان*

تحقيق، عبد الستار احمد فراج، تح، عبد الستار احمد فراج، مكتبـــة مصر: د، ت.

ـــ *الإشارات في اصول الفقه المالكي*

ابن خلف اليازجي، تقديم، محمد الشريف الرحموني، مـــط، دار ابـــن حزم،ط، 1، 2000م.

ـــ *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة.*

محمد بن علي الجرجاني، تحقيق عبد القادر حسين، مط،دار النهضة، مصر،1981م.

ـــ *الإشارات والتنبيهات*

ابو علي بن سنا، مع شرح نصر الدين الطوصي، تحقيـــق ســـليمان باشا.مط، دار المعارف بمصر، ط، 1، 1960 م.

ـــ *الاشتراك اللفظي في القران الكريم بين النظرية والتطبيق*

محمد نور الدين المنجد، مط، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر بيروت، ط، 1، 1999م.

ـــ *الاشباه والنظائر في النحو.*

جلال الدين السيوطي.إعداد، فائز ترجيني، مط،دار الكتاب العـــربي بيروت، ط، 1، 1984م.

ـــ *البصائر والدخائر*

ابو حيان التوحيدي تحقيق ونشر، احمد امين، والسيد احمـــد صـــقر، [illegible]ـة التاليف والترجمة والنشر،بمصر، ط، 1، 1953.

ـــ *جواهر الادب في ادبيات وإنشاء لغة العرب*

احمد الهاشمي، مط، حجازي بالقاهرة، ط، 1، 1368 هج إعداد، ياسين الايوبي، ملك، العصرية صيدا، بيروت، لبنان،ط، 1 ، 2000م.

ـــ *الجمل ابو القاسم الزجاجي*

تصحيح وشرح ابن ابي شنب،مط، جون كربونل، الجزائـــر، ط، 1، 1926م.

ـــ *ديوان عمر بن ابي ربيعة*

الشركة الوطنية للكتاب، بيروت، لبنان، د.ت.

ـــ *دلائل الإعجاز في علم المعاني*

عبد القاهر الجرجاني، تحقيق، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط،2، 1989م.

ـ *الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية*

صفية مطهري، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط،1 ، 2003م

ـــ *دلالات التركيب، دراسة بلاغية*

محمد ابو موسى، مكتبة وهبة، 1979م.

ـــ *الدلالة اللفظية*

محمود عكاشة، مكتبة الانجلو المصرية، ط، 1، 2002م.

ـ *دليل السالك إلى الفية ابن مالك*

إعداد، وتعليق، عبد الحميد رشواني، دمشق، ط، 1، 1996م.

ـــ *ديوان ابي نواس*

إعداد، احمد عبد المجيد الغزالي، ط، 1، مصر، 1953م.

ـــ *الهوامل والشوامل*

ابوحيان التوحيدي، ومسكويه، تح، احمد امين، والسيد احمد صـــقر، لجنة التاليف والترجمة والنشر،ط، 1، 1954م.

ـــ *وفيات الاعيان*

ابن خلكان،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، بمصر، ط، 1، 1948م.

ـــ *الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، خلفيات وامتداد*

مكي درار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ســـوريا، ط، 1، 2007م.

ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري

ادم متز، ترجمة، محمد الهادي ابو ريدة، مط، لجنة التاليف والترجمـــة والنشر، ط، 2، 1957م.

ـــ *طبقات الصوفية*

تحقيق نور الدين شربية، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط، 1، 1996م.

ـــ *يتيمة الدهر*

عبد الملك ابومنصور الثعالبي، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميـــد، مط، دار الفكر بيروت، لبنان،ط، 1، 1974م.

ـــ *الكافية الكبرى في علم النحو*

الشيخ خليل الإسعردي، تحيق إلياس قبلان التركي، مط، دار صـــادر بيروت، ومكتبة الرشاد إستنبول، ط، 1، 2007م.

ــ *الكناش في فني علم النحو والصرف*

الملك المؤيد صاحب حلب، دراسة وتحقيق، رياض بن حسن الخوام،مط المكتبة العصرية بيروت، ط، 1، 2000 م

ــ *كتاب التعريفات*

الشريف الجرجاني، مط الندى، الاسكندرية،ط، 1، 2004م.

ــ *الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية*

ابو البقاء الكفوي،إعداد عدنان درويش، ومحمد المصري. مط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،ط، 1، 1982م

ــ *الكتاب*

سيبويه، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مط،عالم الكتب، بيروت لبنان، ط، 1، 1966م.

ــ *لسان العرب*

جمال الدين محمد بن منظور، مط، دار صادر بيروت لبنان.د.ت.

ــ *اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة*

حسن ظاظا، مط، دار القلم دمشق، سوريا، ط، 2، 1990م.

ـ *اللسانيات التوليدية والتحويلية*

عادل فاخوري،مط،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

ــ *المنصف*ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى، مط،مصطفى بالي الحلبي واولاده، ط، 2، 1379هج.

ــ *معاني القران*

ابو زكريا يحي بن عبد الله الفراء، إعداد، إبراهيم شمس الدين، مط، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، 1، 2002م.

ـــ *المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم*

محمد فؤاد عبد الباقي،مط،دار الكتب الحديثة، مصر، ط، 1، 1378هج.

ـــ *محاضرات في علم النفس اللغوي*

حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعـــات الجامعـــة، المؤسســـة الوطنيـــة للكتاب،.د.ت.

ـــ *محاضرات الادباء*

الاصبهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان،د.ت.

ـــ *المغني في علم النحو*

فخر الدين الجابردي، تح، قاسم الموشي، ابو انس، مط، دار صـــادر بيروت ومكتبة الإرشاد، إستنبول،ط، 1، 2007م.

ـــ *مبادئ اللسانيات*

احمد محمد قدور، مط، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر المعاصر، دمشق، ط، 1، 1999م.

ـــ *معجم المصطلحات النحوية والصرفية*

محمد سمير اللبدي، مط، امزيان الجزائر، د.ت.

ـــ *معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها*

محمد سعيد إسبر وبلال جنيدي،مط،دار العودة بيروت ط، 1، 1982م.

ـــ *معجم مقاييس اللغة*

احمد بن فارس تح عبد السلام محمد هارون،مط، دار الفكر، ط،1، 1979م.

ـــ *مغني اللبيب عن كتب الاعاريب*

جمال الدين بن هشام الانصاري، تحقيق، مازن المبارك، ومحمد علـــي حمد الله، مراجعة سعيد الافغاني، ط، 1، 1972 م.

ـــ *مفهوم الزمن في فلسفة ابي الوليد بن رشد*

عبد الرزاق قسوم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **مط،** الرغايـــة، ط،1 ،1986م.

ـ *من اسرار اللغة العربية*

إبراهيم انيس، مط، الانجلو المصرية، القاهرة، ط، 1، 1962م.

ـــ *المنجد في اللغة العربية والادب والعلوم*

الاب لويس معلوف، مط، الكاثوليكية، بيروت لبنان،ط، 18، ،1962م.

ـــ *النظرية اللسانية والبلاغية والادبية عند الجاحظ من خلال البيـــان والتبيين*

محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط، 1، 1983م.

ـــ *نحو الجمل*

تحقيق ودراسة، مختار بوعناني، مط،الفجر للكتابة والنشر،وهران، ط، 1، 1995م.

ـــ *الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها*

احمد بن فارس تحقيق، مصطفى الشوملي مط،بدران للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط، 1، 1963م.

ـــ *علم الدلالة*

احمد مختار عمر، مط،دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.ط، 1، 1982م.

ـــ *علم الدلالة، اصوله ومباحثه في التراث العربي*

عبد الجليل منقور،منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط،1 ، 2001 م.

ـــ *علم النحو*

فخر الدين الجابردي، تحقيق، قاسم الموشي، مط، دار صادر بيروت، مط، الرشاد استنبول، ط، 1، 2007م.

ـــ *العمدة في محاسن الشعر وادابه*

ابن رشيق القيرواني مط، دارالفكر ،بيروت، لبنان،ط، 1،1973م.

ـ علم الدلالة العربية بين النظرية والتطبيق

دراسة تاريخية تاصيلية **نقدية،** فائز الداية، ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة، الجزائر، 1973م.

ـــ *علم المعاني*

حسن طبل، مكتبة، الامان المنصورة ، 1999م

ـــ *عنقود الزواهر في الصرف*

علاء الدين علي بن محمد القوشجي، دراسة وتحقيق احمـــد عفيـــف، ط،1، القاهرة.

ـــ *فقه اللغة واسرار العربية*

عبد الملك ابومنصور الثعالبي،مط،المكتبة التجارية الكبرى **مصر،**ط، 1، 1938م.

ـــ *فقه اللغة وخصائص العربية.*

محمد مبارك، مط،دار الفكر،ط، 7، 1981م.

ـــ *فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور.*

رجاء العيد، مكتبة المعارف، ط، 2، 1988م.

ـــ *في النحو العربي نقد وتوجيه*

مهدي المخزومي.منشورات المكتبة العربية صيدا، بيروت، ط، 1، 1964م.

ــــ *الفعل زمانه وابنيته*

إبراهيم السامرائي. مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط، 2،1980م.

ــــ *الفكاهة في الادب العربي*

فتحي محمد عوض ابو عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط،1، 1970م

ــــ *الفكاهة في الادب اصولها وانواعها*

احمد محمد الحوفي، مط، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط،1، 2001م.

ــــ *الفروق في اللغة*

ابو هلال العسكري، مط،دار الافاق الجديدة بـــيروت لبنـــان،ط، 4، 1980م.

ــــ *الضروري في صناعة النحو*

القاضي ابو الوليد بن رشد، تحقيق ودراسة، منصـــور علـــي عبـــد السميع، تقديم محمد إبراهيم عبادة، مط، دار الفكر العربي، ط،1.

ــــ *القاموس المحيط*

الفيروزابادي، **مط،** دار الفكر، بيروت، لبنان.د.ت.

ــــ *رسالة الاشتقاق*

ابن السراج، تحقيق مصدفي الحدري ومحمد علي الدرويش، دمشق، ط،1، 1973م.

ــــ *اسم الفاعل والصفة المشبهة عند الصرفيين*

محمود محمد علي ابو الروس، مط، حسان، 1984م.

ـــ *سنن الترمذي*

تح، عزة عبيد دعاس، مطابع الفجر، حمص، ط، 1387هج

ـــ *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*

محمد بن مالك تحقيق محمد كامل بركات، مط، دار الثقافة، ج،ع، م. ط، 1، 1967م.

ـــ *تسهيل شرح ابن عقيل، لالفية ابن مالك في الصرف*

حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1، 2004م.

ـــ *تصريف الاسماء والافعال في ضوء اساليب القران*

محمد سالم محيسن.مط، دار الكتاب العربي بيروت. ط، 1، 1987م.

ـــ *تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن ابي ربيعة*

شكري فيصل. مط، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط،4 ،1959م.

ـــ *التبيين، عن مذاهب النحويين، البصريين والكوفيين*

ابو البقاء العكبري. تحقيق ودراسة، عبد الرحمان بن سليمان العثيمين. مط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط، 1، 1986م.

- التحفة السنية بشرح الاجرومية

تح محمد محيي الدين عبد الحميد مط، دار الإمام مالك، طبعة منسوخة،2002م

ـ *التقديم والتاخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الاسلوبية.*

مختار عطية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، د،ت.

ـــ *الخصائص*

ابو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجار، مط، دار الهدى،للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط، 2، 1952م.

ـ الخصائص

ابو الفتح عثمان بن جني، مط، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، ط، 4، 1999م.

ـــ *شذا العرف في فن الصرف*

احمد الحملاوي، مط، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط، 1، ،1953م.

ـــ *شرح الحدود النحوية*

جمال الدين الفاكهي، تحقيق، وتقديم محمد الطيب إبراهيم مـــط،دار النفائس، بيروت لبنان، ط، 1، 1996م.

ـــ *شرح الكافية*

الرضي، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد الزفزاف، مط، دار الفكرالعربي، بيروت لبنان، ط، 1، 1975م.

ـــ *شرح المفصل*

موفق الدين ابن يعيش، إعداد: احمد السيد احمد، وإسماعيل عبـــد الجـــواد المغني، مط، المكتبة التوفيقية، مصر،ط،1،د،ت.

ـــ *شرح شافية ابن الحاجب*

رضي الدين الإستراباذي،تح،محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مط، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط، 1، 1975م.

ـــ *شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان*

جلال الدين السيوطي.مط، الحلبي، ط، 1، 1939م.

ــــ *شروح التلخيص*

للتفتازاني، مط، دار لكتب العلمية بيروت لبنان،د.ت.

ـ *شرح المعلقات السبع*

ابو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني، منشورات، دار القـــاموس الحـــديث، بيروت، لبنان،د.ت.

ــــ *وفيات الاعيان*

ابن خلكان،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة، بمصر، ط، 1، 1948م.

المخطوطات

ــــ ابوحيان التوحيدي ناقدا

رسالة ماجستير، كلالي مسعود، جامعة وهران، السانية، 1986م.

ــــ *الحروف العربية وتبدلاها الصوتية في كتاب سيبويه*

مكي درار، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1988م.

ـ *هندسة المستويات اللسانية من الاثار العربية*

مكي درار، جامعة وهران.

الدوريات

ـ مجلة القلم، العدد 2، جامعة وهران ،السانية، 2005م.

ـ حوليات الجامعة، جامعة وهران، السانية.

ـ مجلة النقد والدراسات الادبية واللغوية، جامعة سيدي بلعباس.

ـ مجلة اللغة العربية، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر.

فهرس الموضوعات

الفصل الاول

دلالة الانس في المفردات

الفصل الثاني

دلالة الانس في التراكيب

الفصل الثالث

دلالة الانس في المشتقات

الفصل الرابع

دلالة الانس في السياق